

الظلم وأنواعه

عرف الكثير الظلم بأنه وضع الشيء في غير موضعه ، وهو تعريف خفي . والأحسن أن يعرف بأنه : خروج الشخص في تصرفه عما حد له .

في الناس من طبعه العدوان ، ومنهم من دأبه الجشع ، وآخرون عادتهم الغضب ، وغير ذلك من الرذائل التي جاءت من عدم اعتدال القوة المودعة فيهم . فلا جرم كانت هذه الرذائل مع تراجمهم على المطالب سبباً في مجاوزتهم الحد واستطالة بعضهم على بعض بالشم والضرب ، والسلب والنصب ، والقتل والغصب ؛ وغير ذلك من الأمور التي يابها العقل والقانون .

وأول من يصيب الظالم بظلمه نفسه التي بين جنبيه ، فإن الشرور التي تخالج قلبه ، وتخامر نفسه ، تضره قبل أن تصير شروراً بالفعل تصل إلى الغير ويجد لها ؛ على أن بعض الظلم يكون قاصراً على الظالم ، لا يصل إلى غيره منه ضرر .

والظلم أمر تبيح سبي العاقبة ، وأنواعه كثيرة :

فإنها ظلم الحاكم للأمة ، وأدناه ألا يقلع عما فيه من الرذائل ، فإن كل رذيلة فيه هي عند النظر ضرب من الظلم لرعيته ، لأن تلك الرذيلة تنتقل إلى كثير منهم .

فالحاكم إذا أحب التجسس أخذه من حوله بحكم التقليد ، ولكل من هؤلاء حاشية وناس محذوقون به ، فتنقل تلك الرذيلة إليهم ، وهكذا .

كنت أعرف في بعض الرؤساء رذائل ، ولم ألبث حتى رأيت بعض مرءوسيههم وقد ظهرت فيهم هذه الرذائل بعينها ، وكأني الآن أنظر إليهم .

ومنه أن يقعد عن إدارة شئون الأمة ، ويعمل مصالحها وراء ظهره لا يخل بها ، ولا يعنى إلا بتقاضى أجره ، وحمل الرعية على الاعتراف له بالسيادة ، وإبداء شعائر العبودية ويكون عبثاً ثقيلاً على كاهلها .

ومنه — وهو أشد — أن يستبد برأيه ، ويقضى بهواه ، وقد يمد عينيه ويديه مع ذلك إلى أحوال الرعية .

وحينئذ تذهب حرمة النفس والمال ، ويتضعض الأمن ، ويخشى الناس على أموالهم من إظهارها في التجارة ونحوها ، وتنقبض الأيدي عن الأعمال فتقل الثروة ، وتضيق دائرة العرفان ، لأن الأمة تكون حينئذ في تقهقر ، والحكومة الظالمة لاتنصر العلم ، لأنه يناقض حالها الذي هي فيه .

وكذلك الشأن في أخلاقها ، فإنها تصير إلى الضعف والذلة ، وينتشر فيها النفاق والكذب ، وتبطل فيها الشجاعة والحمية ، وتظهر فيها جميع الرذائل التي تتولد من الضعف ؛ وإذا سلت من الدمار زمناً فإنها تبقى كالمریض في حال النزاع ، ثم تضعف عن القيام بنفسها وتصير إلى غيرها .

الظلم في الأم يثير الضغائن ، ويزرع الأحقاد في نفوس الرعية على الحكومة ، حتى تكون الأمة في نزوع إلى الثورة ، وليس يدرى ماوراء الثورات من سقوط الحكومات ، وانقلاب الممالك إلا الله تعالى ، فالحروب الداخلية أشد وقعاً من الحروب الخارجية .

وهذه أمة الروس لما لقيت من حكومتها من الاستبداد والمصادرة في الحرية أوغر ذلك صدورها ، وتحفزت إلى الثورة ؛ ولما آنتت من حكومتها الضعف ثارت إلى الفتن والفتك بالناس ، وتمطيل الأعمال ، وتلك من ثمرات الظلم .

ومنها الظلم الذي يقع في الأسر من عمدائها ، والأسر أجزاء تتركب منها الأمة ، فإذا وقع فيها خلل أدى ذلك إلى فساد الأمة من وجه ؛ ونذكرك شيئاً تقيس عليه .

فمن ذلك أن يسيء الرجل إلى زوجته — وهو كثير — ينظر إليها نظره إلى متاعه ، ويعاملها بما يقتضى ذلك ، فإن هذا يؤدي إلى ذلها وهوانها ، ويؤكد الرذائل في نفسها ، وهي أم ولده ؛ فلا بد أن تبعث في نفسه من تلك الصفة التي صارت إليها ، ويكون عدوانه على زوجته عدواناً أيضاً على أولاده وأمته .

إن الذين يتكبرون في أجواف بيوتهم على أهلهم ، ويشمخون بأنوفهم على أمرهم ، إنما يلدون عبيداً لغيرهم من الناس .

ومن الظلم أن يدع تربية أبنائه تربيةً يقتضيها الزمان ، فإن التزاحم على أمور الحياة قد اشتد ، وحاجة الإنسان قد تضاعفت ، وطبيعة العمران قد تغيرت ، فمن لا يحمل ابنه عدة من تعاليمهم وتربيتهم فقد ظلمهم ، وكان كما لو دفعهم إلى الوغى بغير سلاح .
وكثير من الأسر أدرك الحاجة إلى تربية البنين ، ولكنهم لم يدر كوها بعد إلى تربية البنات^(١) ، وهي كذلك في حاجة إليها .

فإن تدبير المنزل والسعادة من داخله ، وتربية الأولاد ، واقتدارهن على العمل ، والسكسب عند الحاجة ، كل ذلك داع إلى العناية بتعليمهن وتربيتهن .
غالى الرجال في ظلم بناتهم حتى جعلوا درجاتهن وراء ما يملكون من الحيوان وهم لا يشعرون . تولد عند الرجل المهرة أو الجحشة ، فتقى أدركت سن الروض دفعها إلى الرائض وإن قصر ندم . وتولد له البنت فإذا جاء عليها دور التربية أو جاوزته لم يدر في خلده شئ من أمر تربيتها .

فما أظلم الإنسان وأبعده عن الحق ! إذا اعتاد الباطل ! .
ومن الظلم ما أسلفنا القول عليه من أن الرجل يضم إليه بنيه الكبار على الوجه الذي في القرى ، ولا يكل إلى كل منهم عملاً خاصاً يحضه على السكسب ، ويعرفه طرق المعاملات ، ويبعث فيه روح الاستقلال ، فإذا مات عجزوا عن تدبير أمورهم ووقعوا في الخسران .
ومنها ظلم الحيوان مع كونه نعمة من الله تعالى على الإنسان . قال تعالى :

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ، وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَنِيِّ إِلَّا بُشِقٌ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَهْءُوفٌ رَّحِيمٌ) .

فلا يحل مقابلة هذه النعم بالكفران ، ولا هذه الرحمة بالظلم والقسوة ، وإسقاطه تعالى فيما أفاض من المنة .

نعم أحلت الشريعة ذبح الحيوان وأكله ، فمجازاة ذلك إلى تعذيبه بلا جدوى أمر مخالف للشرع والعقل معاً .

(١) قد أدرك الناس أخيراً ضرورة تربية البنات فقامت الحكومة بقسطها في فتح مدارس لهن ، والجماعات حتى تطورت الحالة وأصبح تعليم البنات في مستوى تعليم البنين تقريباً .

فهراش الديوك تتقاتل حتى تسيل دماؤها ، والكباش تتناطح وتذوق الألم وقد تنكسر
لزوجها ، وتحميل الحيوانات فوق طاقتها حتى يبلغ منها الجهد غاية ، وضربها مع ذلك
السياط ، كل ذلك ظلم . وأظن أمثال هؤلاء الذين يصنعون بالحيوان مثل ذلك ، يماملون
الإنسان بمثل هذه المعاملة لو وجدوا إليها سبيلاً .

جاوز الناس الحد في أمور الصيد ، والعدوان على الحيوان ، وإن لم يطعموا منه ؛ ومن
هؤلاء جماعة من الأغنياء جعلوا لهم قطعاً من الأرض يأوى إليها ، فإذا مالوا للهو بقتله
ركبوا ومعهم آلاته من كل نوع ، حتى إذا جاءوا إليه وجدوا لهم في الفتك به هواً ولذة .
ويجب على الأستاذ أن يربي تلاميذه على احترام الشرع ، والقانون والتمسك بهما ،
وينفرهم من مخالفتها والخروج عنهما حتى يكون ذلك داعياً إلى بعدهم من الظلم .

(عن كتاب الأخلاق للمرحوم عبد الرحمن زغلول)

وناشره الأستاذ محمد عبد الجواد

١ - نتيجة البغى (الظلم)

قضت سنة الله أن يذل المستكبرين ، وأن يقصم ظهور جبابرة المتغطرسين ، وأن
ينتقم ممن يقترفون ، فيظلمون الضعفاء الآمنين .

طغى فرعون في الأرض ، واستبد بالعباد ، وتعاضم وقال : (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) ،
فكان من أهل الشر والفساد .

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِيفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) .

وقال تعالى : (فَحَسَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى . فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ
وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَحْشَى)

اغتنى قارون وآتاه الله مالا طائلاً ، وكنوزاً ضخمة ، فغنى نفسه ربه ، وبخل على
أبناء جنسه ، فابتلته الأرض في جوفها بماله وداره ، وصارت قبراً لجسده وذهبه وعقاره .
قال تعالى : (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ

مَفَاتِحَهُ لَتَنُوهُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ .
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ
اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ . قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى
عِلْمٍ عِنْدِي ، أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً
وَأَكْثَرُ جَمًّا) .

إلى أن قال جل شأنه : (تَخَسَّفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ
يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) .

كانت عاد وثمود أمماً قوية ، غرتهم القوة ، فأذلهم القوى العزيز ، الذي لا يعجزه
شيء في الأرض ولا في السماء .

(فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا
أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) .

فأهلكهم الله بريح قوية باردة أبادتهم عن آخرهم .
(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ
أَيَّامٍ حُسُومًا ، فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ . فَمَهْلُ تَرَى
لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) .

وهكذا ينتقم الله من كل قوى يستبد بالخلق ، وينكر ما للناس من حقوق ؛ فالقوة
وحدها لا تنتج خيراً أبداً ، وإذا لم يعززها الحق ويكن لها مدداً أبادها الله القوى القادر ،
وسلط عليها من لا يرحمها . « وما ظالم إلا سيرى بأظلم » .

(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) .
(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) .

محمود علي أحمد

٢ - كلمة عامة عن الظلم

يزعم بعض الناس أن الظلم طبيعة في الإنسان تظهره القوة ، ويخفيه الضعف ، وهذا زعم خاطئ ، فإن هناك من الطباع طباعاً تأبى لسلامتها الظلم ، وتمتته من نفسها ، وتقاومه عند غيرها .

ولو أنصف الناس لقالوا : إن الظلم لؤم الطبع ، وخبث النفس ، وضعف الوازع الديني والخلقي .

قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ، وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) .

وقال تعالى : (وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِّلْمُعِيدِ) .

وجاء في الحديث الشريف : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وليس الظلم مقصوراً على أكل أموال الناس بالباطل ، فإن الظلم أنواع شتى . وأظلم الناس لنفسه ولغيره ذلك الذي لا عمل له ولا شغل إلا الانتقال من مجلس إلى آخر ، ينهش في أعراض الناس ، ويسعى بينهم بالفساد . وأظلم منه من ينظر إلى حليمة جاره ، وبلغ في عرض أخيه المسلم . ومثل أولئك من يجرح كرامات الناس ويتبع عوراتهم .

وأشد من هؤلاء ظلاماً وأشنع جرماً ، من يتهم الأبرياء ، ويلفق الجرائم على أناس لاصلة لهم به ، أو يأكل أموال اليتامى ظلاماً ، ويقتال حقوق الفقراء ، فكل واحد من هؤلاء قد خسر الدنيا والآخرة .

وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال : « أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُنْفِسِ ؟ » قالوا : المنفس منا من لا درهم له ولا دينار . فقال : إِنَّ الْمُنْفِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكْرَمَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَاعَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ .

ولا يغيب عن الأذهان أن دعوة المظلوم مستجابة ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَا تَرُدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُنْطَرَّ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ

لِظُلْمِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْعَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا نُضْرَنَكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

ومما يروى في هذا الصدد : أن رجلا ادعى على سعد بن أبي وقاص ظلماً وبهتاناً أنه لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في القضية ، فدعا عليه سعد بطول العمر ، و بطول الفقر ، والتعريض للفتن ، فأصابته هذه الدعوات كلها .

وادعت امرأة على سعيد بن زيد ظلماً أنه أخذ شيئاً من أرضها ، وشكته إلى مروان ابن الحكم ، فقام سعيد أمامه قائلاً :

أنا أخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

قال مروان : ماذا سمعت من الرسول ؟ .

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ » .

فقال له مروان : لأسألك بعد هذا بيّنة .

فقال سعيد : اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها ، فسمع الله دعوته فأعمى بصرها وقتلها في أرضها .

لهذا كله ؛ قد حق على الظالم أن يلتمس العفو من ظلمه ، ويردّ الحقوق إلى أهلها ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِذَرِّ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » .

فليزِم الظالم أن يرد ما أخذ إن كان موجوداً ، أو يرد ثمنه إن كان مفقوداً ، وإن كان قد اغتاب إنساناً ، أو نمم على أحد فليعتذر له ، ويرج منه الصفح عسى أن يتجاوز الله عنه .

محمود علي رسلان

(مجلة نشر الفضائل)

العدد الأول (السنة الثامنة)

الآيات القرآنية الواردة فيها كلمة «الظلم»

وما يتفرع منها وتفسير معانيها

سورة البقرة

١ - (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) ٣٥

وقلنا: يا آدم اسكن أنت وزوجك (حواء) الجنة ، وكلا من ثمراتها كما تريدان في أى مكان منها شئتما .

ولكن إياكما أن تأكلا من هذه الشجرة ، وعصيتها لهما ، فتكونا من الظالمين لأنفسكما .

٢ - (وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ أَخَذْنَا مِنَ الْعِجْلِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) ٥١

وإذ وعدنا موسى أن نعطيه التوراة بعد أربعين ليلة ، ومع هذا عبدتم العجل من بعده وأنتم ظالمون لأنفسكم ، فتوبوا إلينا حتى نغفو عنكم من بعد ذلك كله ، لعلكم تشكرون .

٣ - (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ) ٥٤

وإذ كروا أيضاً ، إذ قال موسى لقومه ، وقد رأهم يعبدون العجل : يا قومي لقد ظلمتم أنفسكم بعبادة العجل الذى لا يضر ولا ينفع ، فتوبوا إلى خالقكم ، واقتلوا أنفسكم بترك الشهوات ، أو اقتلوا الذين عبدوا العجل منكم .

ذلكم أفضل لكم عند مولاكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم .

٤ - (وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ النَّعَامَ وَأُنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى ؛ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٥٧

يذكرهم الله تعالى بأنه أظلمهم بالنعيم ، وبما تفضل عليهم به من (الن) إفراز حلو المذاق تفرزه بعض الأشجار .

(والسوى) : الطير المعروف بالسماني ، ليقبهم الهلاك من تلك البقعة المجدبة ، وأمرهم بأكل الطيبات من الرزق ثم يقول الله : وما ظلمونا ولكن كانوا لأنفسهم يظلمون .

٥ — (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ، فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ٥٩

فبدل الذين ظلموا من بنى إسرائيل الاستغفار وطلب العفو بالانهماك في الشهوات ، فكان جزاؤهم أن أرسل الله عليهم العذاب ، (قيل : هو الطاعون) فأهلك منهم عدداً عظيماً .

٦ — (وَإِذْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ، ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) ٩٢

لما جاءكم موسى بالآيات البينات آمتم به أولاً ، ثم اتخذتم العجل من بعده ، وأنتم ظالمون .

٧ — (وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٩٥

قل يا محمد لبنى إسرائيل : إن كانت الدار الآخرة كما تقولون - لكم خاصة لا يشارككم في نعيمها أحد فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، لأن نعيم هذه الحياة لا يساوي شيئاً إذا قيس بنعيم الآخرة ، ولكنهم لن يتمنوه أبداً بسبب ما اجترموه من الذنوب ، والله عليم بما كانوا يظلمون .

٨ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ، وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) ١١٤

ومن أكثر ظلماً ممن منع مساجد الله أن يُصلى فيها وعمل على تعطيلها .
أولئك ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخشوع ، لأن يجترؤا على تخريبها .

٩ - (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ، قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ؟ قَالَ لَا يَنْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) ١٢٤

وإذ اختبر الله إيمان إبراهيم بأوامر ونواهٍ كلفه إياهن قيام بهن ، فقال له : إني جاعلك للناس قدوة .

فدعا ربه أن يكون ذلك أيضا لذريته من بعده ، فأجابه الله بأن عهده لا يصلح له إلا الصالحون ، ولا ينال الظالمين .

١٠ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ؟ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) ١٤٠

ومن أشد ظلماً ممن كتم شهادة يعلمها عن الله ، هذه الشهادة هي : ما كانوا يعملونه من تبرؤ الله لإبراهيم من اليهودية والنصرانية ، وكله بأنه على الحنيفية ، وما الله بغافل عما تعملون .

١١ - (وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ١٤٥

فإذا اتبعت يا محمد أهواءهم (ضلاتهم) من بعد ما جاءك من العلم فيما يختص بأمر القبلة فإنك تظلم نفسك .

١٢ - (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ، وَلَئِنَّمِ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ١٥٠

يقول الله تعالى ما معناه : وفي أي جهة كنتم فولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام . لتدفعوا حجة اليهود عليكم في قولهم : إن التوراة قد نصت على أن نبي آخر الزمان قبلته الكعبة ، ومحمد يجحد ديننا ، ويتبعنا في قبلتنا .

ولتدفعوا حجة المشركين أيضا في قولهم : كيف يدعى محمد ملة إبراهيم ويخالف قبلته ؟ إلا المعاندين الظالمين الذين لا يقنعهم أي تعليل كان ، فلا تخافوهم وخافوني ، ولأنتم نعمتي عليكم في أمر القبلة ، ولعلكم تهتدون بذلك .

١٣ — (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ ، أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ، وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) ١٦٥

ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم باتخاذ الأنداد حين يرون العذاب الذي ينتظرهم ، أن القوة كلها لله ، لا شريك له فيها ، وأن الله شديد العذاب ، لندموا على الشرك به سبحانه وتعالى .

١٤ — (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . ٢٢٩

تلك أحكام الله فلا تتجاوزوها ، ومن يتجاوز أحكام الله فهو لاء هم القوم الظالمون .
١٥ — (وَلَا تَمْسِكُوهُمْ ضِرَارًا لِيَعْتَدُوا ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) ٢٣١
ولا تمسكوا النساء بقصد الاعتداء عليهن ، فإن من يجزؤ على ذلك فقد ظلم نفسه .

١٦ — (فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا ، إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٢٤٦

فلما كتب عليهم القتال جنبوا إلا قليلا منهم ، والله عليم بالظالمين .

١٧ — (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٢٥٤

يأيها المؤمنون : أنفقوا في سبيل الله مما رزقناكم ، من قبل أن يأتي يوم لا نجارة فيه تستمضون بها عما خسرتم ، ولا محبة من محب تنفعكم ، ولا شفاعة من ذى جاه تنقدكم والكافرون أى مانعو الزكاة هم الظالمون لأنفسهم .

١٨ — (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٢٥٨

لما قال إبراهيم للنمرود ، وقد أخذ يجادله ويحاجه : إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فتحير النمرود ولم يرد جوابًا ، لأن الله لا يهدي القوم الظالمين .

١٩ — (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ٢٧٠

وما بذلتم من مال ، أو نذرتهم من شيء فإن الله يعلمه ، ويجازيكم عليه ، وليس
لظالمين أنصار .

٢٠ - (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) ٢٧٢

وما تنفقوا من مال غير قاصدين به إلا وجه الله فهو لأنفسكم ، إذ يوفى إليكم أجره ،
وأنتم لا تظلمون .

٢١ - (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ،

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٢٨١

واحدروا يوماً سترجعون فيه إلى ربكم ، فتوفى كل نفس حسابها وهم لا يظلمون .

سورة آل عمران

٢٢ - (فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّارْتِبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٢٥

فكيف يكون الحال ؟ إذا جمعناهم ليوم القيامة ، وهو لا شك فيه ، ووفيت كل نفس
جزاء ما عملته من خير وشر بالقسط المستقيم وهم لا يظلمون .

٢٣ - (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَجِبُ

الظَّالِمِينَ) ٥٧

وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأوفيهم أجر ما عملوا ، ولأحب الظالمين ، هذه الآية
بعد قوله تعالى :

(فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) .

٢٤ - (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ

وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٨٦

بعد أن بين الله أن من يطلب ديناً غير دين الإسلام فلن يقبل منه وهو في الآخرة من

المالكين . قال تعالى ما معناه : كيف يهدي الله الذين كفروا بعد أن آمنوا وشهدوا بأن

الرسول حق وجاءهم بالآيات البينات ؛ إن الله لا يهدي القوم الظالمين .

٢٥ - (فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٩٤

بعد أن بين الله أن كل أنواع الطعام كانت محللة لبني إسرائيل قبل التوراة ، ثم حرم موسى عليهم بعضها بسبب عنادهم ، فأنكر اليهود هذا الأمر فقال الله :

فأتوا بالتوراة فآفروا بها ، وهي تشهد بأنها حرمت عليهم لهذا السبب ، فمن كذب بعد ذلك وافترى على الله الكذب فأولئك هم الظالمون .

٢٦ - (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ) ١٠٨

هذه الآيات الواردة في الوعد والوعيد من وحى الله نزلها عليك ملتبسة بالحق ، وما الله يريد ظلماً للعالمين .

٢٧ - (مَثَلُ مَا يُبْنِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ

حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَسْ كُنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ١١٧

مثل الله ما ينفق هؤلاء الكافرون رياء كمثل ريح فيها برد أصابت زرع قوم ظلّموا أنفسهم بالانهمك في المعاصي فأهلكته ، وما ظلمهم الله ولكنهم هم الذين كانوا يظلمون أنفسهم بارتكاب تلك المعاصي .

٢٨ - (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) ١٢٨

ليس لك يا محمد من أمر تدبير العباد شيء ، فإما يتوب الله على المشركين وإما يعذبهم فإنهم ظالمون يستحقون العذاب .

٢٩ - (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

لِدُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ١٣٥

بين الله في الآيات السابقة وهذه الآية صفات المتقين . وهم: الذين يبذلون أموالهم في حالي الرخاء والشدة ، ويمسكون غيظهم ويعفون عن الناس . وإذا فعلوا أمراً منكراً ، أو ظلّموا أنفسهم بإتيان أي ذنب كان ، تذكروا الله فاستغفروه ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون . أولئك جزاؤهم عند الله المغفرة ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين .

٣٠ - (سُنِّلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَأْلَمَ يُنَزَّلُ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) ١٥١

سنمذف في قلوب الكافرين الرعب بسبب شركهم بالله ، ما لا تقوم عليه حجة ، ومنزلم النار ، وبئس منزل الظالمين .

٣١ - (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْفُرَ وَمَنْ يَكْفُرْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ١٦١

وما كان لنبي أن يخون في الغنائم ، ومن يخن يأت بما أخذه يوم القيامة ثم تقضى على كل نفس جزاءها وهم لا يظلمون .

٣٢ - (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ١٨٢

لقد وعد الله اليهود الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وعدمهم بعذاب الخريق ، وقال لهم : ذوقوا عذاب الخريق ، ذلك بما فعلت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد .

٣٣ - (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ١٩٢

ياربنا إنك من تدخل النار فقد قضيت عليه بالخزي ، وما للذين ظلموا أنفسهم بالنكوب عن الصراط السوي من أنصار .

سورة النساء

٣٤ - (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظَالِمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ

نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) ١٠

إن الذين يختلسون أموال اليتامى ظالماً إنما يأكلون ملء بطونهم ناراً ، وسيدخلون ناراً تتأجج يوم القيامة .

٣٥ - (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا ، وَكَانَ ذَلِكَ

عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) . ٣٠

بعد أن قال الله في الآية السابقة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) كالتمامل باربا والقمار ، واغتصاب الحقوق إلى آخر الآية قال :

ومن يفعل ذلك ، أى القتل والمحرمات التى سبقت إفراطاً فى التجاوز عن الحق ، أى عدواناً وظلماً ، فسوف ندخله ناراً ، وكان ذلك على الله هيئاً .

٣٦ - (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) ٤٠

إن الله لا يظلم أحداً وزن هبأة حقيرة ، وإن عمل عامل حسنة يزدها له أضعافاً كثيرة ويؤته من عنده أجراً عظيماً .

٣٧ - (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) ٤٨

ألا تعجب لهؤلاء اليهود الذين يثنون على أنفسهم فيقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ، ولكن الثناء والتزكية التى يعتد بها هى تزكية الله ، وهو لا يظلم الإنسان فتيلاً (الفتيل : الخيط الذى فى شق النواة ، ويطلق على الأمر التافه) .

٣٨ - (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) ٦٤

قدر الله تعالى أنه ما أرسل الرسل إلا ليطاعوا ، ولو أن هؤلاء المنافقين إذ ظلموا أنفسهم بدم قبولهم حكمك يا محمد جاءوك مستغفرين لتاب الله عليهم .

٣٩ - (وَمَالِكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) ٧٥

وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ؟ والحال أن الضعفاء من الرجال والنساء والولدان من مسلمى مكة يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية (أى مكة) المتلبس أهلها بالظلم ، واجعل لنا من عندك ناصرًا ومعينًا ، أى كيف يهنا لكم العيش وإخوانكم على تلك الحالة ٤٠ - (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَظْلَمُونَ فَتِيلًا) ٧٧

قل يا محمد للذين يخشون القتال هرباً من الموت : متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن خاف الله ، ولا تظلمون فتيلاً

٤١ - (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) ٩٧

إن الذين تتوفاهم الملائكة ، وهم ظالمون لأنفسهم بترك الهجرة ، وموافقة الكفرة ، قالوا لهم : في أى شئ كنتم من أمر دينكم ؟

قالوا : كنا مستضعفين عاجزين عن الهجرة ، فردوا عليهم قائلين :

ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مردم جهنم وساءت ما لآ .

٤٢ - (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) ١١٠

بعد أن قال الله لمن يعين الظلمة : (ها أنتم جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم في الآخرة ، أو من يكون محامياً لهم ؟)

يقول : ولكن الأولى بمن يعمل السوء ، أو يظلم نفسه بأى حال كان - أن يستغفر الله فيجده غفوراً رحيماً .

٤٣ - (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) ١٢٤

ومن يعمل من الأعمال الطيبة الصالحة سواء كان ذكراً أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فتيلاً .

٤٤ - (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) ١٤٨

لا يحب الله أن يجهر أحد بشئ من الكلمات السيئة إلا المظلوم إذا دعا على ظلمه ، فإن الله يسمعه ويعلم بحقيقة حاله .

٤٥ - (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا

الْعِجْلِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣)
يسألك يا محمد أهل الكتاب من اليهود أن تنزل عليهم كتاباً من السماء من طريق
الإعجاز ، فقد طلبوا إلى موسى أكبر من ذلك ، فقالوا له : أرنا الله عياناً ، فزلت على
القاتلين صاعقةً من السماء فأحرقتهم بظلمهم .

ثم عكفوا على عبادة العجل من بعد ما جاءتهم البينات الواضحات ، ثم عفونا عنهم بعد
ذلك كله ، ومنحنا موسى من لدنا تسلطاً ظاهراً عليهم .

٤٦ - (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا) ١٦٠

واقدم حرماناً على بني إسرائيل طيبات كثيرة كانت أحلت لهم ، وذلك كان بسبب
ظلمهم وصدتهم عن سبيل الله كثيراً .

٤٧ - (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا) ١٦٨
إن الذين كفروا وصرفوا الناس عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً ، وإن الذين
كفروا وظلموا محمداً بإنكار نبوته ، أو ظلموا الناس بصدتهم عما فيه صلاحهم لم يكن الله
ليغفر لهم ، ولا ليهديهم طريقاً ، إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً ، وكان ذلك عند الله يسيراً .

سورة المائدة

٤٨ - (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمَانِي وَإِيمَانِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ) ٢٩

في قصة أبي آدم (قابيل وهايل) لما أراد قابيل قتل أخاه هايل .
قال له : أن بسطت إلى يديك لتقتلني ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك ، لأنني أخاف
الله رب العالمين ، ولأنني أريد أن ترجع حاملاً إيماني وإيمانك فتكون من أصحاب النار ،
وذلك جزاء ظلمك .

٤٩ - (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ٣٩
بعد أن ذكر الله عقاب السارق والساوقة في الآية السابقة قال : فمن تاب من بعد

(ظلمه) شرقته وأصلح أمره بالخلاص من التبعات والعزم على أن لا يعود ، فإن الله يتوب عليه في الآخرة .

٥٠ - (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٤٥

من لم يحكم بما أنزل الله (أى بالقرآن) فأولئك هم الظالمون .

٥١ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٥١

بأيها المؤمنون لا تتخذوا المعادين لكم من اليهود والنصارى أولياء يتولون أموركم ، فإن بعضهم أولياء بعض ، ومن يفعل ذلك منكم فإنه يكون منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين لأنفسهم .

٥٢ - (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ

مِنْ أَنْصَارٍ) ٧٢

بعد أن قال، الله تعالى : (لقد كفر الذين زعموا أن الله هو المسيح عيسى ابن مريم) مع

أن المسيح نفسه قال لبنى إسرائيل : يا قوم اعبدوا الله ربي وربكم .

قال تعالى : إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومنزله في الآخرة النار ،

وما للظالمين من أنصار .

٥٣ - (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعتَدِينَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ١٠٧

فيحلفان الشاهدان الآخران بالله على أن شهادتهما أحق من شهادة سابقتهما ،

وما اعتدينا ، وإلا كنا إذا لَمِنَ الظالمين .

سورة الأنعام

٥٤ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ) ٢١

ومن أظلم ممن اختلق على الله الكذب ، أو كذب بآيات الله ، إنه لا يفلح الظالمون .

٥٥ — (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ

الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) ٣٣

قد نعلم إنه لا يكدرك الذي يقولون ، فإنهم لا يكذبونك في الحقيقة ، ولكنهم بايات الله يجحدون ؛ لأنهم ظالمون .

وقد قالها محمد أبو جهل : ما نكذبك وإنك عندنا اصادق ، وإنما نكذب ما جئتنا به .

٥٦ — (فَقُطِّعَ دَا بِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ٤٥

فاستوصل القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين .

٥٧ — (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنَا كُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٤٧

قل لهم يا محمد : أرايتم لو أنا كم عذاب الله فجأة بلا مقدمات ، أوجهرة تتقدمه أمارات هل يهلك إلا القوم الظالمون ؟ .

٥٨ — (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ،

مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) ٥٢

ولا تطرد الفقراء الذين معك يدعون ربهم على الدوام (صباح مساء) ابتغاء وجه الله ، وليس عليك حساب إيمانهم ، ولا عليهم حساب إيمانك فتطردهم فتكون من الظالمين .

٥٩ — (قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ

أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ) ٥٨

قل لهم : لو أن عندي ما تستعجلون به من العذاب لقضى الأمر بيني وبينكم ، والله أعلم بالظالمين .

٦٠ — (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَمَدِّ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٦٨

وإذا رأيت الذين يتناولون آياتنا بالظعن أو الاستهزاء ، فتول عنهم حتى يأخذوا

في حديث غيره ، فإن أنساك الشيطان ذلك ، فلا تقعد بعد أن تتذكر هذا الأمر مع
القوم الظالمين .

٦١ - (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ، أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
مُهْتَدُونَ) ٨٢

الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بظلم : أى بشرك ، أولئك لهم الأمن الصحيح ؛
وهم مهتدون .

٦٢ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ
إِلَيْهِ شَيْءٌ ، وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ
المَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ ، اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا
كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) ٩٣

ومن أظلم ممن اختلق على الله الكذب ، فزعم أنه بعثه نبيًا ، وادعى أنه سيأتي للناس
بمثل ما أنزل الله من القرآن والكتب السماوية .

ولو ترى إذ الظالمون في شدائد الموت وأهواله ، والملائكة الموكِّلون بقبض الأرواح
باسطو أيديهم إليهم يقولون :

أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون العذاب المهيمن ، بما كنتم تقولون على الله غير الحق
كالشرك به ، وكنتم عن التأمل في آياته والإيمان بها تستكبرون .
لو ترى كل هذا رأيت أسوأ فظيماً هائلاً .

٦٣ - (وَكَذَلِكَ نُوَلِّيْ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ١٢٩

وكذلك نجعل بعض الظالمين أولياء بعض ، يمد بعضهم بعضاً في النعم ، جزاء لهم على
ما كانوا يكسبون من الآثام .

٦٤ - (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) ١٣١

إن الله لم يكن ليهلك القرى بظلم أهلها غافلون ، بل ينهتهم وينذرهم ويبالغ لهم
في الموعظة أولاً لعلهم يرجعون .

٦٥ - (قُلْ يَا قَوْمِ اِعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ اِنِّي عَامِلٌ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ، اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ١٣٥

قل يا محمد لقومك : اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم ، ولا تدخروا جهداً في الكد
إني عامل على الصبر والثبات على الدين ، فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار؟
إنه لا يفلح الظالمون .

٦٦ - (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ؟ اِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٤٤

فمن أشد ظلاماً ممن افتري على الله كذباً ليضل الناس بغير علم ، إن الله لا يهدي
القوم الظالمين .

٦٧ - (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ، سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) ١٥٧

فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وأعرض عنها ، سنجزى الذين يعرضون عنها سوء
العذاب بما كانوا يعرضون .

٦٨ - (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا
مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ١٦٠

من جاء بالحسنة فله أجرها مضاعفاً إلى عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ،
وهم لا يظلمون .

سورة الأعراف

٦٩ - (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اإِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) ٥

فما كان دعواهم ، أي دعاؤهم حينما جاءهم بأسنا ، إلا أن اعترفوا بأنهم كانوا ظالمين .
وماذا يجديهم اعترافهم هذا بظلمهم ؟ وقد انتهوا إلى الآخرة وخرجوا من الدنيا ، ولم
يكسبوا في حياتهم خيراً .

٧٠ — (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) ٩

يوم القيامة توزن أعمالهم بالعدل ، فمن رجحت حسناته على سيئاته ، فأولئك هم الفائزون .

ومن خفت موازينه (أى قلت حسناته) فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون آياتنا فيكذبونها بدل أن يصدقوها .

٧١ — (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) ١٩

أمر الله تعالى آدم بأن يسكن الجنة هو وزوجه (حواء) وأن يأكلا من شجرها إلا شجرة منها، قيل : (هي شجرة الخنطة) فإذا أكل منها يكونان من الظالمين .

٧٢ — (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ، وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ٢٣

قال آدم وحواء : ربنا ظلمنا أنفسنا بمعصيتنا بالأكل من الشجرة ، وطلبنا منه العفوان والرحمة بقولها : ربنا إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

٧٣ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ، أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ، وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) ٣٧

فمن أظلم ممن اختلق على الله الكذب أو كذب بآياته ، أولئك ينالهم نصيب من الكتاب ، أى مما كتب لهم فيه من الأرزاق والآجال ، حتى إذا جاءتهم رسلنا من الملائكة يتوفونهم ، أى يتوفون أرواحهم . قالوا لهم : أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ؟ .

قالوا : غابوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين .

٧٤ — (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) ٤١

لهم من النار فراش ، ومن فوقهم أغطية ، وبمثل هذا الجزاء نجزي الظالمين .

٧٥ — (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا،

فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ قَالُوا نَعَمْ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

الظَّالِمِينَ) ٤٤

وسأل أصحاب الجنة أصحاب النار : أنا وجدنا ما وعدنا ربنا من النعيم حقاً ، فهل وجدتم

ما وعدكم به ربكم من العذاب حقاً ؟ .

قالوا : نعم . فأعلم معلّم بينهم أن لعنة الله على الظالمين .

٧٦ — (وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ، قَالُوا رَبَّنَا لِأَتَجَمَّعُنَا مَعَ

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٤٧

بين الله في الآية التي قبلها ، أنه يوجد بين أهل الجنة وأهل النار حاجز عليه رجال

استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فحبسوا هنالك حتى يحكم الله في أمرهم ، لم يدخلوا الجنة وهم

طامعون فيها .

يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بعلامات فيهم ، يميّون الأولين ، وإذا رأوا

الآخرين وهم أصحاب النار (أى أهل جهنم) قالوا : ربنا لا تجملنا مع القوم الظالمين .

٧٧ — (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا، فَانظُرْ

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) ١٠٣

ثم بعثنا بعد هؤلاء الرسل موسى بآياتنا إلى فرعون وأشراف قومه فظلموا بها ، أى

إنه كان الإيمان من حقها فظلموها بكفرهم بها ، فانظر كيف كانت نهاية المفسدين .

٧٨ — (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ، أَلَمْ يَرَوْا

أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا؟ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) ١٤٨

وَاتَّخَذَ قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلِيمٍ غِيلاً مُّبِيناً لِيُصْنَعُ صَوْنًا حَتَّىٰ يَخِيلَ لِرَأْسِهِ أَنْ
لَهُ صَوْنًا ، فَمَا أَغْنَاهُمْ ؟ .

الايرون انه لا يكلمهم ولا يهديهم إلى طريق السداد لأنهم كانوا ظالمين ؟ .
٧٩ - (وَآلًا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ، قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن
بَعْدِي ، أَتَّخَذْتُم مِّن رَّبِّكُمْ وَأَلْتَقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، قَالَ إِنَّ
أُمَّةً يَنْهَكُ يَدَيَّ أَنْ يَنْصُرْتُمُوهُ وَيَقُولُونَ سَتُذَقُونَ ثَمَرَهُمْ ثَمَرَ يَوْمِ الْحِسَابِ)
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠)

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال لهم :
بئسما قمتم مقامى من بعدى أدركتم العجلة فتركتم أمر ربكم غير تام ، وهو مدة
الأربعين يوماً فضلتهم قبل تمامها .
وألقي الألواح من يده ، وأخذ بشعر رأس أخيه هارون يجره إليه ، كأنه ظهر له تقصيره
في منعمهم . وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين ، فقال له أخوه :
لا تعجل إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تفعل بي ما يشتمهم ، ولا تعدني
في عداد القوم الظالمين .

٨٠ - (وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى ، كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ١٦٠
وظللنا عليهم السحاب ليقمهم حرّ الشمس ، ورزقناهم المنّ والسوى ، وكلنا لهم :
كلوا من طيبات ما رزقناكم .

فلم يثبتوا على ما أمرناهم به ، فلقوا جزاءهم ، وما ظلمونا بعصيانهم ، ولكنهم كانوا
يظلمون أنفسهم .

٨١ - (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ) ١٦٢

فبدل الذين ظلموا أنفسهم منهم قولاً غير الذي قيل لهم ، فأرسلنا عليهم عذاباً من السماء بسبب ظلمهم .

٨٢ - (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ

ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ١٦٥

فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن المنكر ، وسأطنا على الظالمين عذاباً

شديداً بما كانوا يخرجون عن حدود الشريعة .

٨٣ - (سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ) ١٧٧

بعد أن مثل الله الذي كذب بآياته (وهو بلعم بن باعوراء من علماء اليهود)

بالكلب الذي يلهث ، قال :

بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات ربهم وظلموا أنفسهم .

سورة الأنفال

٨٤ - (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ) ٢٥

واتقوا مصيبةً لا يقتصر نزولها على الظالمين وحدهم ، بل تعم من لم يكونوا ظالمين ،

لتقصيرهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلموا أن الله شديد العقاب .

٨٥ - (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ٥١

ذلك بما اكتسبتموه من الآثام ، والله ليس بظلام للعبيد ، لأنه لا يظلم أحداً

من خلقه .

٨٦ - (كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ

بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ، وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ) ٥٤

كذب آل فرعون ، ومن سبقهم بآيات الله ، فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل

فرعون ، وكل كانوا ظالمين .

٨٧- (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) ٦٠
وما تبدلوا من شيء في سبيل الله يرد إليكم ثوابه ، وأنتم لا تظلمون .

سورة التوبة

٨٨- (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَالْعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٩
يقول الله تعالى للمشركين : أيها المشركون ؛ أ جعلتم الخلط التي تتولونها من سقى
الحجاج في المواسم ، ومن عمارة المسجد الحرام ، والقيام على حفظ جدرانه ، كإيمان من
آمن بالله إيماناً صادقاً ، وآمن بالدار الآخرة ، وعمل على التزود لها ، وجاهد في سبيل
الله بنفسه وبماله ؟

كلاً لا يستوون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

٨٩- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ أَسْتَحَبُّوا
الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٢٣
يأيها المؤمنون : لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء توالونهم الحب والوداد إن آثروا
الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون .

٩٠- (إِنْ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ،
وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) ٣٦
إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في حكم كتاب الله ، وهو أمر ثابت منذ خلق
الله الأجرام والأزمنة .

من هذه الشهور أربعة حرم ، وإن تحريمها هو الدين القيم ، فلا تظلموا فيها أنفسكم
بهتك حرمتها ، وقاتلوا المشركين جميعاً متساندين ، كما يقاتلونكم جميعاً متعاونين ، واعلموا
أن الله مع المتقين .

٩١ — (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا خِلَالَكُمْ بِبَغْوَانِكُمْ
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٤٧

لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا فساداً وشرّاً ، ولأسرعوا في التدخل بينكم يطلبون نك
الوقوع في أمر يخذلكم كالتخالف أو التخاذل ، يريدون بكم الفتنة وفيكم ضعفاء يسمعون لهم ،
والله عليم بالظالمين .

٩٢ — (أَلَمْ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ
وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٧٠

ألم يحثهم خبر الذين من قبلهم ، قوم نوح (أغرقوا بالطوفان) وقوم عاد (أهلكوا
بالريح) وقوم ثمود (أهلكوا بالرجفة) وقوم إبراهيم (أهلك نمرود وأهلك أصحابه) وأهل
مدين وهم قوم شعيب (أهلكوا بالنار) وقرى قوم لوط (انقلبت بأهلها فصار عاليها سافلها) .
كل هذه الأمم أتتهم رسلهم بالآيات الواضحات فلم يكن الله ليظلمهم ، ولكنهم كانوا
يظلمون أنفسهم بتعريضها لسخط الله بالكفر والجحود .

٩٣ — (أَمْ نَسِيَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ ، أَمْ مَنْ أَسَّسَ
بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٠٩
أيهما أفضل ؟ الذي أسس بنيانه على تقوى الله ورضوانه ، أم الذي أسسه على حرف
شط متساقط ، فهو ي به في نار جهنم ، والله لا يهدي الظالمين .

هذا بيان من الله سبحانه وتعالى بشأن الفارق بين من بنى (مسجد قباء) الذي أسسه
الرسول (ومسجد الضرار) الذي بناه بنو عثم بن عوف ، ليؤتمم فيه (أبو عامر الراهب) السالف
ذكره في الآية السابقة .

سورة يونس

٩٤ — (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) ١٣

ذكر الله تعالى في هذه الآية الأسم السابقة التي أبادها بظلمها لعدم إيمانها بالآيات
البيّنات التي جاءتهم رسولهم بها ، وكذلك يجزي الله القوم الجرمين .

٩٥ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْجَرْمُونَ) ١٧

فمن أشدّ ظلماً ممن اختلق على الله كذباً ، أو ممن كذب بآياته فكفر بها ، إنه
لا يفلح الجرمون .

٩٦ — (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) ٣٩

بعد أن قال الله في الآيات السابقة : إن هذا القرآن ليس مما يمكن أن يفترى ، فإن
صح زعمكم بأنه ممكن افتراؤه فاتوا بسورة مثله ، بكل من تشاءون من أهل الفصاحة
والحكمة ، بل كذبوا بشيء لم يعرفوه ، ولم يحتمهم تأويله بعد ، كذلك فعل الذين من قبلهم
فتأمل ماذا كانت عاقبة الظالمين .

٩٧ — (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) ٤٤

إن الله لا يظلم الناس شيئاً ، ولكن أكثر الناس يظلمون أنفسهم .

٩٨ — (وَإِكْلٌ أُمَّةٍ رَسُولٌ ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ، وَهُمْ

لَا يَظْلِمُونَ) ٤٧

ولكل أمة رسول يبعثه الله فيها ليهديها طريق الصواب ، فإذا جاء الأمة رسولها قضى
بين الرسول ومكذبيه بالعدل وهم لا يظلمون .

٩٩ — (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا

كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) ٥٢

لما سأل الكفار محمداً صلى الله عليه وسلم قائلين له : متى وعد الله بالعذاب إن كنت
صادقاً ؟ فقال الله له قل لهم يا محمد : إني لا أستطيع أن أدفع عن نفسي ضرراً ، ولا أن أجلب

إليها نفعاً ، فكيف أستطيع أن أستعجل وقوع العذاب عليكم ؟ لكل أمة موعد نزول فيه ، فإذا جاء أجلهم ، فلا تتقدم عنه ساعةً ولا تتأخر ، فلا تستعجلوا ما سيحل بكم .

ثم قال لهم : إذا وقع آمنتكم به ! ثم قيل : لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ، هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَقْرَفُونَ ؟

١٠٠ - (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ

لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٥٤

ولو أن لكل نفس ظلمت نفسها وغيرها ما في الأرض من خزائن ، لجملته فدية لها من عذاب الآخرة ، ولكن الكافرين يبهتون حين يرون العذاب مما لم يكن يحسبون ، ويخفون الندامة ، ويقضى بينهم بالعدل وهم لا يظلمون .

١٠١ - (فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٨٥

لما قال موسى لقومه : يا قوم إن كنتم آمنتم بالله حق الإيمان ، فتقوا بالله واعتمدوا عليه إن كنتم له مسلمين .

فقالوا : عليه توكلنا ، ربنا لا نجعلنا موضع عذاب للقوم الظالمين ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين .

١٠٢ - (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا

مِنَ الظَّالِمِينَ) ١٠٦

قل يا محمد لأهل مكة (كفار قريش) إن كنتم في شك من ديني ، فهذه خلاصته ، اعتقاداً وعملاً وهي :

أن لأعبد الذين تعبدونهم من دون الله ، ولكني أعبد الله الذي يتوفاكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقيم وجهي للدين مائلاً عن العقائد الزائفة ، وأن لا أكون من المشركين ، وأن لا أدعو من دون الله ما لا ينفعني ولا يضرني ، فإن فعلت كنت من الظالمين .

سورة هود

١٠٣ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ
الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ١٨

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ .
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ .

١٠٤ - (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي
مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ
إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ٣١

من ضمن كلام نوح عليه السلام لقومه أن قال : إني لا أقول لكم عندي خزائن رزق الله
أغدق النعم على من أشاء ، ولا أقول إني أعلم الغيب ، ولا إني ملك ، ولا أقول للذين
تزدريهم أعينكم (أي تحتقرهم أعينكم) لن يمنحهم الله خيراً ، الله أعلم بما في أنفسهم ، إن
قلت ذلك أكن إذاً من الظالمين .

١٠٥ - (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ
مُغْرَقُونَ) ٣٧

واصنع السفينة تحت رعايتنا وبوحى منا ، ولا تشفع في الذين ظلموا إنهم محكوم
عليهم بالفرق .

١٠٦ - (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَىٰ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٤٤

وبعد صنع السفينة وركوبها قال لأبنة : يا بنيتي اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين .
فقال : يا أبت ساوى إلى جبل يعصمني ، يحميني من طغيان الماء ، فقال له أبوه :
لأعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المهالكين غرقاً .

وبعد ذلك قيل : يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء كفي عن المطر ، ونضب الماء ، وتم هلاك الكافرين ، ورسّت السفينة على جبل الجودي (بالموصل) .

وقال الملائكة : بعداً للقوم الظالمين .

١٠٧ - (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِمِينَ) ٦٧

وأخذت الذين ظلموا من قوم صالح الصيحة (وهي صوت هائل انبعث من السماء فقطع قلوبهم) فأصبحوا في ديارهم باركين على رؤسهم ميتين .

١٠٨ - (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ

مَنْصُودٍ مُسَوَّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَاهِيٍ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعِيدٍ .) ٨٢ ، ٨٣

فلما جاء عذابنا قلبنا بهم مدينتهم ، فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متحجر ، منتظمة متتابعة ومعلمة من خزائن ربك ، وهي ليست من الظالمين ببعيد .

١٠٩ - (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ

الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِمِينَ) ٩٤

ولما جاء عذابنا نجينا شعيباً ، ومن آمن معه برحمة منا ، وأخذت الظالمين الصيحة ، فأصبحوا ميتين ، وهم باركون على رؤسهم .

١١٠ - (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَدَبَّرِينَ) ١٠١

وما ظلمناهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم باتباع الأضاليل ؛ فما نفعتهم آلهتهم بشيء لما جاءهم عذاب ربك ، وما زادوهم غير تحسير .

١١١ - (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

شَدِيدٌ) ١٠٢

ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك إذا انتقم من القرى وهي ظالمة ، إن انتقامه أليم شديد .

١١٢ - (وَلَا تَرَ كُنُوزَ آلِي الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ، وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ

اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) ١١٣

ولا تميلوا أقلّ ميل إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، وما لكم من دون الله من نصراء
ثم لا تنصرون .

١١٣ - (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) ١١٦

واتبع الظالمون ما أنعموا فيه من الشهوات وكانوا مجرمين .

١١٤ - (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ) ١١٧

وما كان ربك ليهلك أهل القرى ظلماً وهم مصلحون .

سورة يوسف

١١٥ - (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ٢٣

لما طلبت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه وغلقت الأبواب ، قال : معاذ الله ،
أى أعوذ بالله وألتجئ إليه ، إن ربي (أى سيدى) ، (يعنى زوجها) أحسن تمهدى ،
وأكرمنى فلا أخونه ، إن الله لا يفلح الظالمين الخائنين .

١١٦ - (قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) ٧٥

لما جهز يوسف إخوته للسفر ، وجعل مشربته فى أمتعة أخيه (بنيامين) قال لهم :
ماجزاء من توجد فى أمتعته ! قالوا : جزاؤه أن يؤخذ فيه ، كذلك نجزي الظالمين .

١١٧ - (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ) ٧٩

قال : معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا صواعنا عنده ، فإن فعلنا غير ذلك نكون
إذا من الظالمين .

سورة الرعد

١١٨ - (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) ٦

بعد أن قال : ويستعجلونك يا محمد بالعقوبة قبل العافية ، وقد مضت من قبلهم
العقوبات التى نزلت بأمثلهم من المكذبين .

وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإنه لشديد العقاب .

سورة إبراهيم

١١٩ - (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) ١٣

وقال الذين كفروا لرسولهم : إما أن تخرجوا من بلادنا ، أو تدخلوا في ديننا ، فأوحى الله إليهم لنهلكن الظالمين .

١٢٠ - (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٢٢

قال الشيطان لما فرغ من أمر هؤلاء الكافرين : لا تلووموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمغشاكم من عذاب الله ، وما أتم بمغشئ منه ، فإني قد كفرت قبل أن أهبط إلى الأرض بالله الذي أشركتموني معه ، إن الظالمين لهم عذاب أليم .

١٢١ - (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ،

وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) ٢٧

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت المؤيد بالحجة ، المسند بالدليل في الحياة الدنيا ، فلا يؤمنون بشئ إلا بهرمان ، ويثبتهم كذلك في الآخرة . ويضل الله الذين ظلموا أنفسهم بالافتصار على تقليد آبائهم ، ويفعل الله ما يشاء .

١٢٢ - (وَأَنَا كُفٌّ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ

الإنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ) ٣٤

بعد أن بين الله نعمه على مخلوقاته ، وتسخيره الشمس والقمر والليل والنهار ، قال لهم : وقد منحكم من كل ما سألتموه ؛ وإن تعدوا نعمة الله عليكم فلا تحصوها ، إن الإنسان لكثير الظلم ، كثير الكفران والجحود بالنعم .

١٢٣ - (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ إِيَّوْمَ تَشْخَصُ

فِيهِ الأَبْصَارُ) ٤٢

ولا تحسبن يا محمد أن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخر حسابهم ليوم تبتهت

فيه الأبصار من شدة ما يصيب الناس فيه من الهول .

١٢٤ - (وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا
إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُنِجِبُ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَٰئِكَ نَكُونُوا أُمَّةً مِّنْ قَبْلِ
مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) ٤٤

وأندر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الظالمون : ربنا آخرنا إلى ميعاد قريب نجب
فيه دعوتك وتتبع الرسل ، فيقال لهم : أولم تقسموا بطراً ، وغروراً أنكم باقون في الدنيا
لا يلحقكم الموت ؟

١٢٥ - وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا
بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ) ٤٥
والحال أنكم سكنتم في مساكن الذين ظلّموا أنفسهم ، وظهر لكم ماذا فعلنا بهم ،
وضربنا لكم الأمثال تنبيهاً لكم فلم تعتبروا .

سورة الحجر

١٢٦ - (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ . فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا
لِيَاءِمَامٍ مُّبِينٍ) ٧٨ ، ٧٩

لما كان أصحاب الأيكة (أى قوم شعيب) من الظالمين انتقمنا منهم ، وإنيهما (أى
مدينة سدوم والأيكة) لبطريق واضح يراها الناس .

سورة النحل

١٢٧ - (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ
مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) ٢٨

الذين تتوفاهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم ، فسلموا وأخبتوا حين شاهدوا العذاب
وقالوا : ما كنا نعمل من سوء ، بل إن الله عليم بما كنتم تعملون ، فيجازيكم عليه
مجازاة رادعة .

١٢٨ - (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٣٣

هل ينتظر الكافرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ، أو يدهمهم عذاب ربك كذلك فعل الذين من قبلهم ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بالكفر والانهماك في المعاصي .

١٢٩ - (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً

وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ٤١

والذين هاجروا في مرضاة الله من بعد ما ظلمهم المشركون لننزلنهم في الدنيا مدينةً حسنةً هي (يثرب) ولأجر الآخرة أكبر وأعظم لو كانوا يعلمون .

١٣٠ - (وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ

إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) ٦١

ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهر الدنيا من دابة ، ولكنه يؤخرهم أعماراً مقدرة لا يتقدمونها ولا يتأخرون عنها ساعة .

١٣١ - (وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) ٨٥

وإذا رأى الذين ظلموا عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ولا هم يمهلون .

١٣٢ - (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ١١١

يوم تبيء كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس جزاء ما عملت وهم لا يظلمون .

١٣٣ - (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) ١١٣

ولقد جاءهم رسول من جنسهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون .

١٣٤ - (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَامًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ

وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ١١٨

وقد حرمانا على اليهود ما ذكرناه لك من قبل ، وما ظلمناهم نحن ، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم .

سورة الإسراء

١٣٥ - (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا قَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَهُ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) ٣٣

ولا تقتلوا النفس إلا إذا استحقته ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه حقاً في طلب القصاص من القاتل ، فلا يحملنه الحزن على قريبه أن يمثل بقاتله ، ويقتل معه سواء إنه منصور على أى حال .

١٣٦ - (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) ٤٧

نحن أعلم بالسبب الذى يدعوهم للاستماع إليك ، وهو الاستهزاء بك وبالقرآن ، ونحن أعلم أيضاً إذ هم يتناجون ، إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً قد ذهب عقله .

١٣٧ - (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) ٥٩

وما منعنا أن نرسل محمداً بالمعجزات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتيناه قوم ثمود الناقة آيةً بينةً فظلموا أنفسهم بسببها إذ عقروها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً .

١٣٨ - (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) ٧١

يوم ندعو كل قوم بإمامهم الذى يأتون به من دين أوزعيم ، أو ندعو كل إنسان بكتاب أعماله ، فمن أُوتى كتابه بيمينه ، فأولئك يقرءون كتابهم فرحاً بما فيه ، ولا يظلمون أقلّ شئ .

١٣٩ — (وَتَنْزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ لِرُوحِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ

إِلَّا خَسَارًا) ٨٢

ونزل من القرآن ما هو شفاء لأدواء النفوس ، ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً لكفرهم .

١٤٠ — (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ

مِثْلَهُمْ ، وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارْتِيَابٍ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا) ٩٩

أولم يروا أن الله الذي لا حدّ لقدرته ، الذي خلق السموات والأرض - بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ وجعل لهم أجلاً لا شك فيه ، هو الموت أو القيامة ، فأبى الظالمون إلا كفرًا .

سورة الكهف

١٤١ — هُوَ لَاءَ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ آلِهَةٍ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ،

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) ١٥

هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة ، فهلا يأتون عليهم ببرهان واضح ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ؟

١٤٢ — (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا

لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) ٣٩

وقل لهم يا محمد : الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، لست أضطر أحداً لتترك دينه ، إنا هيأنا للظالمين ناراً أحاط بهم (فسطاطها) ، إن يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كدردي الزيت في الكدورة والقدرة ، يشوي الوجوه ، بئس الشراب وساءت جهنم متكأ لهم .

١٤٣ — (كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا) ٣٣

كلا البستانين أعطى ثمرة ، ولم ينقص منه شيئاً .

١٤٤ - (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا) ٣٥

ودخل بستانه ، وهو ظالم لنفسه ، بعجبه وكفره قائلاً : ما أظن أن تفتنى هذه الجنة أبداً ، وما أظن الساعة كائنة ؛ إلى آخر ما قال هذا الرجل المتعاطف المتكبر .

١٤٥ - (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا) ٤٩

ووضع كتاب الأعمال ، فترى المجرمين خائفين مما فيه لسوء ما قدموه بين أيديهم ويقولون : يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفادر (لا يترك) صغيرة ولا كبيرة من أمورنا إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً .

١٤٦ - (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ

بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) ٥٠

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فأطاعوا الأمر إلا إبليس كان من الجن فخرج عن أمر ربه ، أفنتخذونه وذريته موالى لكم من دوني ، وهم لكم عدوٌّ؟ بئس للظالمين بدلاً .

١٤٧ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ) ٥٧

ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ولم يتدبرها ، ونسى ما قدمت يداؤه من الأعمال المنكرة ؟ .

١٤٨ - (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) ٥٩

وتلك القرى (عاد وثمود وغيرهم) أهلكناهم لما ظلموا أنفسهم بالكفر ، وجعلنا لإهلاكهم وقتاً مقررأ .

١٤٩ - (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعْتَبُهِ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا

نُكْرًا) ٨٧

قال ذوالقرنين : أما من ظلم نفسه بالكفر والإصرار عليه فإننا سنعذبه ، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً منكرأ ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله الثوبة الحسنى .

سورة مريم

١٥٠ - (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ، لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ٣٨

فاختاف الأحزاب (الفرقى) من بينهم فويل للكافرين من رؤية عذاب عظيم ، فما أحدٌ سمعهم ، وأبعد بصرهم يوم يأتوننا ، لكنهم اليوم صم عمى لا يهتدون ، أى الظالمون اليوم فى ضلال مبين .

١٥١ - (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) ١٠
إلا من تاب (من ذنوبه) وآمن وعمل صالحاً (من الطاعات) ، فأولئك يدخلون الجنة (بسبب ذلك) ولا يظلمون (أى ينقصون) شيئاً .

١٥٢ - (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِسْمًا) ٧٢
ثم ننجى المتقين وترك الظالمين فيها باركين على ركبهم .

سورة طه

١٥٣ - (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) ١١١
وذات الوجوه للحى القيوم ، وقد خاب (وخسر) من حمل (ارتكب) ظلماً .
١٥٤ - (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) ١١٢
ومن يعمل من الأعمال الصالحة الطيبة ، وهو مؤمن بالله ورسوله ، فلا يخاف ظلماً ولا هضماً (بجسماً) .

سورة الأنبياء

١٥٥ - (لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَمَرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ) ٣
بعد أن ذكر الله اقتراب يوم القيامة ووقوف الناس للحساب قال : لاهية قلوبهم ، وأخفى الذين ظلموا تحادتهم ليخفوا ما ينوونه من الدسائس ، وقالوا : هل محمد إلا بشر مثلكم ؟ أفتمعون فى السحر وأنتم تبصرونه ؟

١٥٦ - (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ) ١١
وكم أهلكتنا (أبدأنا ودمرنا) من قرية (بلدة) كانت ظالمة لنفسها أو لغيرها وأنشأنا
(أوجدنا وأحدثنا) بعدها قوماً آخرين .

١٥٧ - (قَالُوا يَا وَيْلَنَا إنا كُنَّا ظَالِمِينَ) ١٤
ولما قيل لهم : لا تهربوا وارجعوا إلى النعم التي أبطرتكم ، وإلى مسألتكم لعلمكم
تسالون عن أعمالكم أو تعذبون ؟ قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين .
١٥٨ - (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ) ٢٩

ومن يزعم منهم أنه إله جزيناه جهنم ، وكذلك نجزي الظالمين لأنفسهم أو لغيرهم .
١٥٩ - (وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إنا كُنَّا
ظَالِمِينَ) ٤٦

ولئن مسهم شيء من عذاب الله ليقولن : يا ويلنا إنا كنا ظالمين .
١٦٠ - (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَنْتَدْنَا بِهَا ، وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) ٤٧
ونضع الموازين العادلة ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من
خردل أنتينا بها ، وكفى بنا حاسبين عليها .

١٦١ - (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ، إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ؟) ٥٩
لما دخل إبراهيم الهيكل وحطم الأصنام آلهتهم إلا أكبرها حجماً لعلمهم يرجعون
إليه بالسؤال عن فعل ذلك .
قالوا : من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ؟ وهذا في الواقع ونفس الأمر ليس ظالماً من
إبراهيم بل هو في مصلحة الدين .

١٦٢ - (فَارْجِعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَمَا لَوَا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ) ٦٤
لما قالوا لإبراهيم : أنت صنعت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال : لا ؛ بل فعله كبيرهم
هذا ، وأشار إلى الصنم الأكبر الذي تركه سليماً ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون .

فراجعوا عقولهم وقال بعضهم لبعض : إنكم أنتم الظالمون لسؤاله هذا السؤال .
١٦٣ - (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، إِنْ كُنْتُ مِنْ

الظَّالِمِينَ) ٨٧

وذا النون (صاحب الحوت ، وهو يونس بن متى) لما ترك قومه بدون إذن الله شجراً من شدة عنادهم وتماديهم في كفرهم ، وظن أن لن تقدر عليه ، نادى في ظلمات الليالي ، أو في ظلمات بطن الحوت (إذ كان التقيمه حوت عقوبةً من الله له) : أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

١٦٤ - (وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ! بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) ٩٧

واقترب يوم القيامة ، فإذا أبصار الذين كفروا ناظرةً لا تطرف من الحيرة ويقولون : يا ويلنا قد كنا في غفلة عن هذا ، بل كنا ظالمين .

سورة الحج

١٦٥ - (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ١٠

بعد أن قال الله : إن من الناس من يباحث في الله بغير علم يعتمد عليه ، ولا هدى يستند إليه ، ولا كتاب منير يستمد منه ، متكبراً عن قبول الحق ، ليضل الناس عن سبيل الله ، فهذا له في الدنيا خزي بظهور بطلان مذهبه ، ويذيقه الله يوم القيامة عذاب النار .
فيقال له : ذلك بسبب ما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد .

١٦٦ - (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظَلِّمْ نُدْفَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) ٢٥

بعد أن قال الله تعالى : إن الكافرين الذين يصدون الناس عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، قال :

ومن يرد أن يتدع في المسجد ما لم يرد الله بميل عن القصد ، وهو ظالم لنفسه ، ندفه من عذاب أليم .

١٦٧ - (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِيَأْتَهُمُ الظُّلْمُ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) ٣٩

رخص الله بالقتال للذين يقاتلهم المشركون لأنهم ظلّموا ، وإن الله على نصرهم لقدير .

١٦٨ - (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا

وَبُيُوتُهَا مُعْتَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) ٤٥

وكم من قرية أهلكتناها وهي ظالمة ، فهي ساقطة حيطانها على سقوفها ، وكم من بئر ملأى بالماء معطلة لهلاك أهلها ؟ وكم من قصر مشيد خال من سكانه ؟ .

١٦٩ - (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمَلِّتُ كَلِمَاتُهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِنُفْسٍ أَخَذْتَهَا وَإِلَىٰ الْمَصِيرِ) ٤٨

وكم من قرية أهلتها وهي ظالمة ، لترجع إلى الصواب والحق ؟ ثم أخذتها بعد اليأس من إصلاحها ، وإلى المصير .

١٧٠ - (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) ٥٣

بعد أن قال الله : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ دسّ الشيطان في قراءته ما ليس بوحى ، فيبطل الله ما يدسه الشيطان ، ثم يثبت آياته والله عليم حكيم ، ليجعل ما يدسه الشيطان امتحاناً للذين في قلوبهم مرض : الشك أو النفاق ، أو القاسية قلوبهم ، قال : (وإن الظالمين) من هذين الفريقين (لفي شقاق بعيد) عن الحق .

١٧١ - (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ،

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) ٧١

ويعبدون من دون الله ما لم يؤتهم عليه دليلاً ، ويعبدون ما ليس لهم به علم ، بل ظنونا وأوهاماً ، فما للظالمين من نصير يدفع عنهم العذاب .

سورة المؤمنون

١٧٢ - (وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ، إِنَّهُمْ مُّعْرَقُونَ) ٢٧

ولا تشفع للذين ظلّموا ، إنهم محكوم عليهم بالفرق هالكون .

١٧٣ - (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُنَاءَ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٤١

فأخذتهم الصيحة متلبسةً بالحق ، بعيدة عن الظلم ، جعلناهم كورق الشجر البالي ، فبعداً للظالمين .

١٧٤ - (وَلَا نَكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ، وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ) ٦٢

ولا نكلف نفساً إلا على قدر طاقتها ، وعندنا كتاب أعمالهم يشهد عليهم بالحق ، وهم لا يظلمون .

١٧٥ - (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٩٤

قل : رب إن كان لابد أن نشهد ما تعدهم إياه من العذاب ، فلا تجعلني قريباً لهم فيه ، أى لا تجعلني في القوم الظالمين .

١٧٦ - (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) ١٠٧

ربنا أخرجنا من النار ، فإن عدنا لما كنا عليه ، فإننا ظالمون .

سورة النور

١٧٧ - (أَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِمُنْكَرِهِمْ) ٥٠

ألم يكفروا بمرض النفاق ؟ أم شكوا في نبوته ؟ أم يخافون أن يجور الله عليهم ورسوله ؟ بل أولئك هم الظالمون لأنفسهم .

سورة الفرقان

١٧٨ - (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أُفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ

فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) ٤

وقال الكفار: إن هذا القرآن اختلاق، افتراه محمد وأعانه عليه اليهود أو غيرهم
بقراءتهم عليه ماسطره الأقدمون صباحاً ومساءً، وهو ينقلها بلسانه ويكسبها الطلاوة بيانه
فما أجهلهم؟ لقد ارتكبوا بقولهم هذا ظلماً وزوراً.

١٧٩ — (أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكْوَنُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا، وَقَالَ الظَّالِمُونَ

إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) ٨

وقالوا: هلا أنزل على محمد ملك فيعينه على مهمته؟ أو يعطى له كنز ينفق منه عن
سعة؟ أو تكون له جنة يأكل منها بلا كد ولا نصب؟

وقال الظالمون: ماتبعون إلا رجلاً اختل عقله بسبب سحر أصابه.

١٨٠ — (وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ مِنْكُمْ نَذِقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا) ١٩

ومن يظلم منكم بعد هذا البيان المذكور في الآية السابقة (أى بعد أن
يجمعهم الله، وما يعبدون من الآلهة، ويقولون لهم: هاهم آلهتكم قد كذبوكم بما تقولون
فما تستطيعون دفعا للعذاب عن أنفسكم ولا نصراً لها) — نذقه عذاباً كبيراً.

١٨١ — (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ

سَبِيلًا) ٢٧

يوم يعص الظالم فيه على يديه ندماً وتحسراً ويقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول
طريقاً لنجاتي.

١٨٢ — (وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرَّسُولَ أَغْرَقْنَا هُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً،

وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) ٣٧

وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم، وجعلناهم للناس آية دالة على بطش الله
في أخذ الكافرين، وأعدنا للظالمين عذاباً أليماً.

سورة الشعراء

١٨٣ - (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٠

وإذ دعا ربك موسى وقال له : اذهب إلى القوم الظالمين (قوم فرعون) ألا يخاف هؤلاء بطشنا ؟ أفلا يعقلون ؟ .

١٨٤ - (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ . ذِكْرَىٰ ، وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) ٢٠٩

وإننا لم نهلك قرية إلا بعد أن نبعث فيها مندرين يذكرون أهلها عاقبة تمادهم في النى ، وما كنا ظالمين .

١٨٥ - (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) ٢٢٧

بعد أن وصف الله حالة الشعراء وقال عنهم : إنهم يهيمون في كل وادٍ من القول بين مدح وهجاء وغيرها ، طلباً للمنافع الشخصية ، وإنهم يقولون ما لا يفعلون . استثنى منهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، ثم أشار إلى الظالمين فقال عنهم :

سيعلمون أي انقلاب ينقلبونه بعد الموت ، وهو تهديد شديد للظالمين .

سورة النمل

١٨٦ - (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ، فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) ١١

لما ألقى موسى عصاه وراها تهتز كأنها حية سريعة الحركات ولَّى مذعوراً ولم يرجع ، فقال له الله : لا تخف ؛ إنه لا يخاف لدى المرسلون .

(إلا من ظلم وفرطت منه صغيرة ، ثم أعقبها بعمل حسن ، فإني غفور رحيم) .

١٨٧ - (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) ١٤

لما جاءت فرعون وقومه الآيات الواضحات كذبوا بها بعد أن تيقنوا صحتها، ظلما لأنفسهم وتعاليا واستكبارا، فانظر كيف كانت عاقبتهم؟

١٨٨ - (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ٤٤

لما دخلت بلقيس عند سليمان في القصر ورأت أرضه حسبه ماء، وكشفت عن ساقينها كي لا تبتل ثيابها فقال لها: إنه صرح مملس من زجاج.

فقالت: يارب إني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

١٨٩ - (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ٥٢

فتلك بيوتهم مهتمة بما ظلموا، وفي ذلك عبرة لقوم يعلمون فيتعظون.

(انظر سبب نزول هذه الآية في المصحف المفسر).

١٩٠ - (وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ) ٨٥

يوم يجمع الله من كل أمة طائفة ويسألهم: أ كذبتهم آياتي ولم تدركوا معانيها؟ أم ماذا كنتم تعملون؟

فلم ينطقوا بكلمة اعتذار، ووقع عليهم العذاب بسبب ظلمهم.

سورة القصص

١٩١ - (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ، فَغَفَرَا لَهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ١٦

لما دخل موسى عليه السلام المدينة وأهلها غافلون عنه وجد إسرائيلياً وقبطياً يقتتلان فاستغاث به الأول، فضرب الثاني فمات فقال: هذا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل.

ظاهر العداوة ، ثم قال : رب إني ظلمت نفسي بعملى هذا ، فاغفرلى ، فغفر له إنه غفور رحيم .

١٩٢ — (نَفْرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٢١

وجاء رجل من أقصى المدينة مسرعاً وقال : يا موسى ؛ إن القوم يتشاورون فى أمرك ليقتلوك ، فاخرج من مصر ، إني لك من الناصحين .

فخرج منها خائفاً يترقب أن يلحقه لاحق وقال : رب نجنى من القوم الظالمين .

١٩٣ — (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٢٥

لما دعت إحدى المرأتين موسى وقالت له : إن أبى يدعوك ليعطيك أجر ماسقتنا لنا ، فلما جاءه وأخبره بخبره قال له : لا تخف ؛ قد نجوت من القوم الظالمين .

١٩٤ — (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ٣٧

لما ذهب موسى إلى فرعون وقومه وسمع منهم ما سمع قال لهم : ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ، ومن تكون له العاقبة الحسنة بعد هذه الحياة الدنيا ، إنه لا يفلح الظالمون .

١٩٥ — (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الظَّالِمِينَ) ٤٠

لما استكبر فرعون وجنوده فى الأرض بغير الحق ، إذا دعى الألوهية ، فأخذناه وجنوده فالتيناهم فى البحر حين تعقبوا موسى وبنى إسرائيل لمنعمهم من الخروج من مصر ، فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين ؟ .

١٩٦ — (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٥٠

قل يا محمد لبنى إسرائيل : فاتوا بكتاب من عند الله أهدى من التوراة والقرآن ، وأدلّ منهما على طريق السعادة ، لأتبعه إن كنتم صادقين ، فإن لم يجيبوك إلى ماتطلب فاعلم أنما يتبعون ميولهم الضالة ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ إن الله لا يهدى القوم الظالمين .

١٩٧ — (وَمَا كُنَّا مُهْتَدِينَ الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) ٥٩

وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في كبرها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا لنهلك القرى إلا وأهلها قد استحقوا الهلاك بظلمهم .

سورة العنكبوت

١٩٨ - (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) ١٤

ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم إلى الحق ، فلم يرفعوا به رأساً ، فأرسل الله عليهم الطوفان فأغرقهم ، وهم ظالمون لأنفسهم .

١٩٩ - (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) ٣١

ولما جاءت رسلنا من الملائكة إبراهيم يبشرونه بأسحق ، ومن بعد إسحق يعقوب قالوا له : إنا أرسلنا نهلك أهل هذه القرية (يعنون سدوم) لأنهم كانوا ظالمين ، فقال لهم : إن فيها لوطاً .

٢٠٠ - (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٤٠

فقد أخذنا كلًّا من هؤلاء المتمردين بذنبه ، فمنهم من أمطرنا عليه حجارةً من السماء ، ومنهم من أخذته الصرخة الهائلة ، ومنهم من خسف به الأرض ، ومنهم من أغرق ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكنهم كانوا يظلمون أنفسهم .

٢٠١ - (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ٤٦

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بأحسن جواب لمقابلة خشوتهم باللين ، وشغبهم بالنصح إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط في الاعتداء ، وقولوا لهم : آمنا بالذي أنزل إلينا ، وبالذي أنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون .

٢٠٢ - (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

إِلَّا الظَّالِمُونَ) ٤٩

يقول الله تعالى : ما كنت يا محمد تقرأ من قبل القرآن كتاباً ، ولا تكتبه بيدك ، لأنك أمي ، فلو كنت قارئاً أو كاتباً لارتاب المبتلون ، وقالوا : إنك تأتينا بما تنتحله من الكتب السابقة ، كلا بل هو (أي القرآن) آيات واضحة المعاني يحفظها العلماء في صدورهم عنايةً بها ، وما يجحد بآياتنا (أي ينكرها) إلا الظالمون .

٢٠٣ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ،

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ؟) ٦٨

ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، إذ زعم أن له شريكاً ، أو كذب بالحق لما جاءه (يعني الرسول أو الكتاب) أليس في جهنم مكان ينزل فيه الكافرون ؟

سورة الروم

٢٠٤ - (وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٩

بعد أن بين الله في الآيات السابقة أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، لا الباطل ، وقال للكافرين :

ألم يسيحوا في الأرض ليتحققوا بأنفسهم كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم ؟ وبين لهم حالتهم ، وقال : أتتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ، فيدمرهم بغير جريمة ، ولكم كانوا يظلمون أنفسهم بكفرهم .

٢٠٥ - (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ؟

وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) ٢٩

يقول الله تعالى : بل اتبع الذين ظلموا أنفسهم أضاليلهم النفسية غير مستندين فيها

إلى علم ، فمن ذا الذي يهدي من أضله الله ؟ وما لهم من ناصرين .

٢٠٦ - (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) ٥٧

يوم القيامة ؛ أى تقوم الساعة ، يحلف المجرمون إنهم مامكثوا فى الدنيا غير ساعة ، والواقع أنهم لبثوا فيها عمراً مديداً ، كذلك كانوا يُصرفون عن وجه الحق فى الدنيا فلا يرون الشئ على حقيقته .

أما الذين مُنحوا العلم والإيمان فيقولون لهم : لقد مكثتم كما هو مشبوت فى كتاب الله إلى يوم القيامة ، فإن كنتم تنكرونه فها هو يوم القيامة ، ولكنكم كنتم لاتعلمون أن وعد الله حق فكذبتم الرسل .

فيومئذ لا ينفَعُ الظالمين معذرتهم ، ولا هم يسترضون بدعوتهم إلى التوبة والطاعة لينجوا من العذاب .

سورة لقمان

٢٠٧ - (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ١١

بعد أن بين الله فى الآية السابقة أن خلق السموات معلقةً فى الفضاء بغير عمد ، لا يسندها شئ كما ترونها ، وألقى فى الأرض جبلاً رواسخ ، خشية أن تميد بكم ، أى تضطرب بكم ، ونشر فيها من كل حيوان ، وأنزل من السماء ماء ، فأنبت به فيها من كل صنف كريم من النبات . قال للكفار : هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين تعبدونهم من دونه ، بل الظالمون فى ضلال مبين .

٢٠٨ - (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ١٣

وإذ ذكر يا محمد : إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني لا تشرك بالله فإن تسوية من لانهمة إلا منه ، بمن لانهمة له أصلاً ظلم عظيم .

سورة السجدة

٢٠٩ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ) ٢٢

ومن أظلم ممن ذكر آيات الله ثم أعرض عنها لاهياً ، أو مستكبراً ؟ إنا من المجرمين لمنقمون .

سورة الأحزاب

٢١٠ — (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) ٧٢

إنا عرضنا الطاعة والقيام بأعباء تكاليفنا على السموات والأرض والجبال فامتنعن من حملها ، وخفن من تبعاتها ، وحملها الإنسان بما منحه الله من القوى الأدبية للوفاء بها ، إنه كثير الظلم والجهل ، إذا لم يف بحقوقها ، ولم يقم بواجباتها .

سورة سبأ

٢١١ — (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) ١٩

يقول الله تعالى في الآيات السابقة : إن بني سبأ (وهم أولاد يشجب من قبائل اليمن) كانت لهم جفتان ، أى بستانين تؤتيهم رزقاً حسناً ، فأعرضوا عن شكر الله ، فأرسل عليهم سيلاً شديداً ، وبدل الجنتين بغيرها ، لها ثمر بشع ، وشجر لا ثمر فيه ، فطلبوا من الله أن يباعد بين أسفارهم من مفاوز ووديان ، ليظهروا بأبهة الثروة ، ويتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل ، فبطروا هذه النعمة ، ففرقناهم كل فريق ، وجعلناهم أحاديث للناس ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور .

٢١٢ — (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ،

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَتَقَوْفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنزَمْنَا لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١)

وقال الذين كفروا : لن نؤمن بهذا القرآن ، ولا بالكتب التي بين يديه ، أى السابقة له ، ولو ترى حين يقف الظالمون أمام ربهم يتحاورون ، فيراجع بعضهم بعضاً ، كل منهم يلقى التبعة على الآخر ؛ فيقول الذين استضعفوا في الدنيا للذين أضلّوهم : لولا أنكم أوقعتونا في الكفر لكانا مؤمنين .

٣١٣ - (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا : ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) ٤٢

فاليوم (أى يوم القيامة) لا يملك بعضكم لبعض نفع ، ولا دفع ضرر ، ونقول للذين ظلموا : ذوقوا عذاب النار التي كنتم لا تصدقون بوجودها .

سورة فاطر

٢١٤ - (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) ٣٢

ثم أورثنا الكتب السماوية الذين اصطفيناهم من عبادنا من العلماء والحكماء ، فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ، ومنهم معتدل يعمل به على قدر إمكانه ، ومنهم سابق إلى الخيرات يجمع بين العلم والعمل بإذن الله ، وذلك السبق هو الفضل الكبير من الله .

٢١٥ - (وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) ٣٧

وجاءكم النذير يخوفكم من عاقبة تماديكم في الباطل ، فذوقوا العذاب ، فما للظالمين من نصير يدفعه عنهم .

٢١٦ - (بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلاَّ غُرُورًا) ٤٠

بعد أن يسأل الله الكافرين عن شركائهم ، وعما خلّقوا من الأرض ، وعما إذا كان أتاهاهم كتاب يتطوق بأن الله اتخذ شركاء - يقول لهم : بل ما يعد الظالمون بعضهم بعضاً في شفاعته هؤلاء الشركاء إلا غروراً .

سورة يس

٢١٧ - (فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) ٥٤

فاليوم (أى يوم القيامة) لا تظلم نفس شيئاً ، ولا تجزون إلا ثواب عملكم .

سورة الصافات

٢١٨ - (أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) ٢٢ ٢٣

يوم القيامة ، (وهو يوم الحكم بين الخلائق والفصل فى أمرهم) ، يقول الله للملائكة : أجمعوا الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم وما كانوا يعبدون من الآلهة ، فهدوهم إلى طريق الجحيم (طريق جهنم) وقهوهم أمامنا إنهم مسئولون عن أعمالهم .

٢١٩ - (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) ٦٣

فى يوم القيامة يكون للمؤمنين الفوز العظيم فى الجنة ، ويقول الله للذى كفر بالبعث : أهذا أفضل نعمة من الله لعبده ، أم شجرة الزقوم التى جعلناها عذاباً للظالمين ؟ وهى شجرة تنبت فى قاع جهنم ثمرها كأنه رؤوس الشياطين .

٢٢٠ - (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ

لِنَفْسِهِ مُبِينٌ) ١١٣

بعد أن بشر الله إبراهيم بإسحاق نبياً من الصالحين قال : وباركنا عليهما (أى على إبراهيم وإسحاق) ومن ذريتهما من هو محسن فى أعماله كريم ، وظالم لنفسه ذميم .

سورة ص

٢٢١ - (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَهْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ

لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) ٢٤

لما أمر الله الملائكة بالدخول على (داود) وفرع منهم قالوا له : لانحف نحن خصيان ، بنى بعضنا على بعض ، وقص عليه أحدهما أمر النعاج ، وطلب منه أن يحكم بينهما بالحق ، قال له : لقد ظلمك أخوك بطلب ضمّ نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيراً من الأصحاب والخلطاء ليبنى بعضهم على بعض ، إلا المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، وقليل وجودهم .

سورة الزمر

٢٢٢ — (أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) ٢٤

يقول الله تعالى : أفمن يتقى بوجهه عذاب السوء في الآخرة ، لأن يده تكون مغلوطة إلى عنقه ؛ كمن هو آمن منه ؟ وقيل لهم : ذوقوا ما كنتم تعملون .

٢٢٣ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) ٣٢

فمن أظلم من رجل كذب على الله وكذب بالحق إذ جاءه أليس في جهنم منزل للكافرين (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لا فتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) ٤٧

في يوم القيامة لو ملك الذين ظلموا أنفسهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لهان عليهم أن يبذلوه لقتلهم أنفسهم به من شدة العذاب ، وظهر لهم من الله ما لم يكن يخطر على بالهم من وبال ما كانوا يقترفون .

٢٢٥ — (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٦٩

وأشرفت الأرض بنور ربها ، أى بعدل ربها (يوم ينفخ في الصور) ووضع الكتاب (كتاب الحساب) وجيء بالنبيين والشهداء الذين يشهدون للأمم وعليها من الملائكة والناس ، وقضى الله بينهم بالحق وهم لا يظلمون .

سورة المؤمن

٢٢٦ - (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ

مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) ١٨

وأندبرهم يوم الآزفة (يوم القيامة) حيث ترتفع القلوب من أماكنها حتى تلحق بالحناجر من شدة الهول ممسكين على القم ، ما لهم من قريب شفيق يعطف عليهم ، ولا شفيع يشفع لهم فتمر شفاعته .

٢٢٧ - (مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ

ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) ٣١

لما قال فرعون لقومه : ما أشير عليكم إلا بما أستصوبه ، وما أرشدكم إلا إلى سبيل الصواب ، قال الذي آمن : يا قوم إني أخاف عليكم إن تعرضتم له مثل ما أصاب الأمم الماضية مثل قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، وما الله يريد ظلماً للعباد .

٢٢٨ - (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) ٥٢

يوم القيامة هو اليوم الذي لا ينفع الظالمين اعتذارهم ، ولهم لعنة الله وجهنم يدخلونها جزاء كفرهم .

سورة فصلت

٢٢٩ - (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ٤٦

من عمل صالحاً فإتبعه نفعه لنفسه ، ومن أساء فإساءته على نفسه ، وما ربك بظلام للعبيد

سورة الشورى

٢٣٠ - (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ

وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) ٨

ولو شاء الله لجعل هذه الخلائق أمة واحدة ، ولكنه قضى لحكمة اختص بها هو

بعلها أن يدخل بعضهم في رحمته ، ويترك الظالمين وشأنهم لاولى لهم ولا نصير .

٢٣١ - (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ، وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٢١

يقول الله تعالى : ألهم شركاء شرعوا لهم ديناً لم يعلم به الله ، ولولا كلمة القضاء السابق بتأجيل العذاب لقضينا بينهم بإهلاك المبطلين ، وأن الظالمين لهم عذاب أليم .

٢٣٢ - (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) ٢٢

ترى الظالمين في الآخرة خائفين مما عملوه ، ووبالهُ واقع بهم ؛ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في حدائق الجنات يتمتعون ، وذلك هو الفضل الكبير .

٢٣٣ - (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) ٤٠

وجزاء الفعلة السيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح ما بينه وبين عدوه فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين .

٢٣٤ - (وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) ٤١

ومن انتصر لنفسه من بعد ما ظلم ، فأولئك لا سبيل إلى معاقبتهم أو معاتبتهم .

٢٣٥ - (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٤٢

إنما العقاب أو العقاب على الذين يظلمون الناس ويفسدون في الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم .

٢٣٦ - (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ، وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) ٤٤

الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) ٤٤

ومن يضل الله فما له من ولي يهديه من دونه ، وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون : هل إلى رجعة في الدنيا من سبيل ؟

٢٣٧ - (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ خَفٍ ، وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) ٤٥

وتراهم يعرضون عليها (أى على النار) وهم خاشعون من الذل ، ينظرون إلى النار اختلاساً ذعراً منها .

ويقول الذين آمنوا حينذاك : إن المضيئين على الحقيقة ، هم الذين ضيعوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا إن الظالمين أنفسهم في عذاب دائم .

سورة الزخرف

٢٣٨ - (وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) ٣٩

بعد أن قال : ومن يتعام عن ذكر الرحمن تقدر أوتتح له شيطاناً فهو يظل قريناً له ، يوسوس له ، ويغويه على إتيان المنكرات ، وإن هؤلاء الشياطين ليعنونهن عن طريق الدين والخير ، وهم يحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا أحدهم قال المتعاصي عن ذكر الله للشيطان : ياليت كان بيني وبينك بُعد المشرقين ، فبئس القرين أنت ؟

قال الله تعالى بعد ذلك : ولن ينفعكم اليوم وقد صح أنكم ظلمتم أنفسكم ، وأنكم الآن في العذاب مشتركون .

٢٣٩ - (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) ٦٥

لما جاء عيسى بنى إسرائيل بالآيات الواضحات قال لهم : قد جئتمكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين ، نخافوا الله وأطيعوني ، إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه ، وهذا طريق قويم لا يضل السالك فيه .

فاختلفت الفرق المتحزبة من بينهم ، أى من بين النصارى أو اليهود والنصارى ،
فالويل والهلاك للذين ظلموا من عذاب يوم أليم .

٢٤٠ - (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) ٧٦

يقول الله تعالى : إن الجرمين فى عذاب جهنم خالدون ، لا يخفف عنهم ، وهم فيه
أبسون ساكتون ، وما ظلمناهم بإدخالهم النار ، ولكن كانوا هم الظالمين .

سورة الجاثية

٢٤١ - (إِنَّهُمْ أَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضِ اللَّهِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) ١٩

يقول الله تعالى : إنا جعلناك يا محمد على طريقة من أمر الدين فاتبعها ، ولا تتبع أهواء
الجاهلین ، إن هؤلاء الجاهلین ان يدفعوا عنك من مؤاخذه الله شيئاً ، وأن الظالمين يتولى
بعضهم بعضاً ، والله يتولى المتقين فيأخذ بيدهم ولا يدعهم يهلكون .

٢٤٢ - (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٢٢

وخلق الله الوجود ملتبساً بالحق ، ليدل به على قدرته ، ولتجزى كل نفس بما كسبت

وهم لا يظلمون .

سورة الأحقاف

٢٤٣ - (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شَهِدٌ مِنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٠

قل لهم يا محمد : أخبرونى إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتكم به ، وقد شهد
شاهد من بنى إسرائيل هو (عبد الله بن سلام) على كونه من عند الله ، فأمن هو
واستكبرتم ، ألا تكونوا ظالمين ؟ . وأن الله لا يهدى القوم الظالمين

٢٤٤ — (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ، وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانَا

عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشِّرَى الْمُحْسِنِينَ) ١٢

ومن قبل القرآن كتاب موسى (التوراة) إماماً للناس ورحمةً بهم ، وهذا كتاب مصدق له بلسان عربي ، لينذر الذين ظلموا وبشري للمحسنين .

٢٤٥ — (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ، وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ) ١٩

ولكل (من الجن والإنس) مراتب مما عملوا ، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم ، وهم لا يظلمون .

سورة الحجرات

٢٤٦ — (وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ

يَتَّبِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ١١

يقول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا يستهزئ قوم بقوم عسى أن يكونوا عند الله خيراً منهم ، ولا يستهزئ نساء بنساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا يعطن بعضكم على بعض ، ولا تتعابروا بالألقاب السوء ، بئس الاسم أن تسموا فاسقين بعد أن تكونوا مؤمنين ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .

سورة ق

٢٤٧ — (مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ٢٩

يقول الله تعالى : لا تتخاصموا لذي ، وقد أسلفت لكم التهديد ، ما يتبدل القول عندي ، وما أنا بظلام للعبيد .

سورة الذاريات

٢٤٨ — (فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ) ٥٩

فإن للذين ظلموا أنفسهم نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم فلا يستعجلون ،
فإن حكمتي تقتضى أن أخره إلى يوم معلوم .

سورة الطور

٢٤٩ - (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ٤٧

وإن للظالمين لعذاباً أقرب من عذاب يوم القيامة ، وهو فشلهم وتغلب المؤمنين عليهم
ولكن أكثرهم لا يعلمون .

سورة النجم

٢٥٠ - (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى) ٥٢

يقول الله تعالى : إنه أهلك عاداً وثمود وقوم نوح من قبل ، إنهم كانوا هم أظلم
الناس وأطفى .

سورة الحشر

٢٥١ - (فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) ١٧

يقول الله تعالى : مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان إذ قال
للإنسان اكفر ، فلما كفر تبرأ منه قائلاً : إني أخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهم
أنهما في النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين .

سورة الممتحنة

٢٥٢ - (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٩

ينهاكم الله عن مودة الكافرين الذين فاتلوكم وأخرجوكم من وطنكم ، وأعانوا غيرهم
على إخراجكم أن تمدوهم أولياء ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون .

سورة الصف

٢٥٣ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ؟
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٧

ومن أظلم من اختلق على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام؟ والله لا يهدي
القوم الظالمين.

سورة الجمعة

٢٥٤ - (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا
يَبْسُ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٥

مثل الذين كلفوا بالعمل بالتوراة ، والقيام على صراطها ، ولم يرفعوا بذلك رأساً ، ولم
يقوموا بما عهد إليهم من ذلك ، كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً ينقلها من مكان إلى
آخر ، وهو لا يدري ما فيها من كنوز المعارف ، فبئس الذين يكذبون بآيات الله ، والله
لا يهدي القوم الظالمين.

٢٥٥ - (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٧

قل يا محمد: يا أيها اليهود؛ إن ادعيتم أنكم أولى بالله من دون الناس وهو أولى بكم
فتمنوا الموت إن كنتم صادقين .

أنهم لا يتمنونه أبداً بسبب ما قدمت أيديهم من الآثام ، والله عليم بالظالمين.

سورة الطلاق

٢٥٦ - (وَلِلَّهِ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ

اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) ١

بعد أن بين الله الأحكام الشرعية في الطلاق قال : تلك حدود الله فمن يتعدّها فقد

ظلم نفسه ، إنك لا تدري أيها المطلق ، لعل الله يخلق لك حالاً جديدةً ، فترغب في استرداد مطلقتك .

سورة التحريم

٢٥٧ - (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ١١
مثل الله حال المؤمنين في أن انصلمهم بالكافرين لا يضرم بحال آسية امرأة فرعون إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين

سورة القلم

٢٥٨ - (قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) ٢٩

كان لرجل بستان (قرب صنعاء باليمن) ينادى الفقراء وقت قطع البلح منه ، ويترك لهم ما أخطأه النخل أو ألقته الريح فيجتمع لهم شيء كثير .
فلما مات لم يرد أبناؤه أن يقتدوا به ، فحلفوا إنهم ليقطعون ثمرات النخل وهم داخلون البستان في الصباح ، ولا يقولون : إن شاء الله ، فطاف عليها طائف فأهلك ثمرها ، وجعلها كالنخل المنزوع المزروع ثمره عقاباً لهم .

فنادى بعضهم بعضاً وهم داخلون في الصباح : اخرجوا وقت الغداة ، أي أول ساعات النهار إلى زرعكم إن كنتم تريدون قطع ثمر نخلكم ، وهم يخفون أصواتهم حتى لا يعلم بهم أحد من الساكنين .

وانطلقوا في الغداة وهم قادرون على نكد لاغير ، فلما رأوا الجنة (البستان) بهذه الحال قالوا : إنا لضالون (أي تائهون عن طريقها) بل نحن محرومون (أي بل حرماننا خيرها بجنائنا) .

وقال أوسطهم رايأ أوسناً (ألم أقل لكم لولا تسبحون) . ألم أقل لكم حين عزمت على حرمان الفقراء : هلا تسبحون الله ، أي تتذكرونه وتتوبون إليه .

قالوا : سبحان ربنا إنا كنا ظالمين لأنفسنا بإيثار الشح على الإنفاق .

سورة نوح

٢٥٩ - (وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) ٢٤

وقد أضلت هذه الأصنام كثيرًا من الناس فلا تزد الظالمين إلا ضلالًا .

٢٦٠ - (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) ٢٨

رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات ،

ولا تزد الظالمين إلا هلاكًا .

سورة الدهر

٢٦١ - (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ٣١

يدخل الله من يشاء من عباده في بـحـبـوـحـتـه (رحمته) وقد هيا للظالمين عذابًا شديدًا .

أحاديث في النهي عن الظلم

- ١ - عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا » . (رواه مسلم والترمذى)
- ٢ - وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَلَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » . (رواه مسلم وغيره)
- ٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . (رواه البخارى ومسلم والترمذى)
- ٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ هُوَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ وَالْمُتَعَشِّشَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ دَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » . (رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم)
- ٥ - وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَظَلِمُوا فَتَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ ، وَتَسْتَنْصِرُوا فَلَا تُنصَرُوا » . (رواه الطبرانى)
- ٦ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ » . (رواه أحمد بإسناد حسن)
- ٧ - وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُغْلَبْهُ » ثم قرأ : (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ

إِذَا أَخَذَ التُّرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» . (رواه البخارى ومسلم والترمذى)

٨ - وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ

شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ اللَّهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » . (رواه البخارى ومسلم)

٩ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَانَتْ

عِنْدَهُ ظِلْمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضٍ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ لَا يَكُونَ

دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ

لَهُ حَسَنَاتٌ ، أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ صَاحِبِهِ مُحْمَلٌ عَلَيْهِ » .

(رواه البخارى والترمذى وسيأتى شرحه)

١٠ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا ، التَّقْوَى هَاهُنَا ،

التَّقْوَى هَاهُنَا (ويشير إلى صدره) بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ،

كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ » . (رواه مسلم)

أحاديث فى القاضى الظالم والإمام الجائر

١ - عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ إِمَامٍ جَائِرٍ » . (رواه الحاكم)

٢ - وعن ابن أبي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنْ اللَّهُ مَعَ الْقَاضِي مَالَمَ يَجْرُ ، فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ » .

(رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم) إلا أنه قال : « فَإِذَا جَارَ تَبَرَّأَ

اللَّهُ مِنْهُ » .

٣ - وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « يُوتَى بِالْقَاضِي الظَّالِمِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، فَإِنْ أَمَرَ بِهِ وَقَعَ فَهَوَى فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا » .

(رواه ابن ماجه والبخارى)

٤ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ وُلِّيَ أُمَّةً مِنْ أُمَّتِي قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ ، كَبِهَ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ
فِي النَّارِ » . (رواه الطبراني)

٥ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشِيرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَمْلُوءًا لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ » .
(رواه أحمد بإسناد جيد)

٦ - وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ أَعْمَالٍ ثَلَاثَةٍ ، قَالَوا : مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : زَلَّةُ
عَالِمٍ ، وَحُكْمُ جَائِرٍ ، وَهَوَى مُتَّبِعٍ » . (رواه البزار والطبراني)
ومن الأدعية المأثورة : « رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا فَاغْفِرْ لِي ، فَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
إِلَّا أَنْتَ ؟ »

ذكر ما جاء في ذم الظلم والنهي عنه والتحذير منه

جاء في الخبر : « يَشَسَ الزَّادُ إِلَى الْمَادِ ظُلْمُ الْعِبَادِ » .

وقيل : الظلم مرتعه وخيم .

وقيل : ليس شئٌ أقرب من تغيير نعمة ، وتعجيل نقمة من الإقامة على الظلم .

وقيل في قوله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) . وعيد للظالم

وتعزية للمظلوم .

وقيل : على الظالم أن يكون وَجِلًا ، وعلى المظلوم أن يكون جَدَلًا (فرحًا) .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له : إذا دعيتك قدرتك إلى ظم الناس ، فاذكر
قدرة الله عليك .

ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال : اذكر يا أمير المؤمنين يوم الأذان . قال :

فما يوم الأذان ؟ قال : اليوم الذي قال الله تعالى فيه : (فَأَذِّنْ مُؤَدِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

الظالمين) فبكى سليمان وأزال ظلامته .

وقيل : احدىروا دعوة المظلوم فانها لينة الجواب ، سريعة الحساب .
وقيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان الرجل في الجاهلية يُظلم فيدعو على من ظلمه فيجاء عاجلاً ، ولا ترى ذلك في الإسلام .
فقال عمر : هذا كان حاجزاً بينهم وبين الظلم ، وإن موعدهم الساعة والساعة أدهى وأسرّ
وقيل : إنما يندمل من المظلوم جراحه ، إذا انكسر من الظالم جناحه .
وقال المأمون لبعض ولاته : لا تظلم لى فيسلطى الله عليك . وهذا ينطبق عليه المثل : من أعان ظالماً سلطه الله عليه .

وقال ابن عباس : ليس للظالم عهد إن عاهدته ، فإن الله تعالى يقول : (لَا يَنْقَلُ عَهْدِي الظالمين) .

التعوذ من الظلم

كان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته يقول : « بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهِ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أُضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ » .

عذر المظلوم إذا جهر بالسوء

قال بعضهم لسلطان : إني وإن خشنت في المقال فقد عذر الله المظلوم إذا جهر بالسوء طلباً للنصفة من ظالمه حيث قال : (لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ)

عادة الناس ظلم من استضعفوه

قيل : الظلم كمين في النفس تظهره القوة ، ويخفيه الضعف .
قال المتنبى : والظلم في خلق الرجال فإن تجد ذا عفة فاملة لا يظلم
وقيل : والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذاعفة فاملة لا يظلم

ظالم ومتظلم

قال الشعبي : حضرت مجلس شريح ، فجاءته امرأة تخاصم زوجها باكية ، فقلت : ما أظنها إلا مظلومة .

فقال : إن إخوة يوسف عليه السلام جاءوا أباهم عشاء يبكون وهم ظالمون .

أمثلة في الظلم

- قيل : فلان أظلم من حية ، لأنها تحفر الحجر ، بل تسلب جحر غيرها فتدخل .
وقيل : أظلم من ذئب .
وقيل : أعدى من الدهر ومن التماسح . وقيل : القتنه غرس الظلم .
وقيل : ما أظلم الإنسان للإنسان !.

أحاديث اتقاء دعوة المظلوم

- ١ - عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذًا إلى اليمن فقال : « اتقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » .
(رواه البخارى ومسلم وسيأتى شرحه)
٢ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ثَلَاثَةٌ لَا تَرُدُّ دَعْوَتَهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفِطَرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ،
يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ النَّعَامِ ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ
وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .
(رواه أحمد)

- ٣ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ » .
(رواه الحاكم)

في نصر الظالم والمظلوم

- ١ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ،
فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ فَقَالَ : تَأْخُذُونَ فَوْقَ يَدَيْهِ » .
(رواه البخارى ومسلم والترمذى، وسيأتى شرحه)

في النهي عن إعاقة الظالم

١ - روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِيَاظِلِّ لِيُدْحِضَ بِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِيءٌ مِنْ ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ »
(رواه الطبراني)

٢ - وروى عن أوس بن شرحبيل أحد بنى أشجع ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ » (رواه الطبراني)

في اغتصاب الأراضي

عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوْقَهُ اللَّهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » .
(رواه البخاري ومسلم)

الشرح

الظلم حرام قليله وكثيره ، وسرقة الأرض وغصبها باب من أبواب الظلم ، شبراً كان المأخوذ أو ذراعاً ، قصبة كان أوفدائناً ، ملكاً للأفراد أو من المنافع العامة ، لما رواه أبو يعلى بإسناد عن الحكم بن الحارث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ أَخَذَ مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شِبْرًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » .
فالذين يأكلون من الطرق الخاصة أو العامة في المباني أو المزارع ، أو يأخذون جسور السكك الحديدية ، أو من شواطئ الأنهار والترع كل أولئك ظلمة غصبة .
وكذلك الذين يُغيرون معالم الضياع ، أو أراضي البناء ، ويزحزون حدودها عن أماكنها ، ليضموا إلى ملكهم من أملاك غيرهم .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من ظلم مقدار شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين ، أى ألزم إثم ذلك ، ولم يكن له مفر من عقابه ؛ فليس معنى التطويق أن يجعل

ذلك طوقاً له يوم القيامة يحيط بمنته ، أو أن يكلف نقل تراب ذلك الشبر من سبع أرضين تعذيباً له ؛ وإنما الغرض لزوم الإثم له لزوم الطوق ، وأخذ العذاب الشديد بخناقه ، وليس العقاب على سطح ما أخذه ليزرع فيه ، أو يبنى عليه فقط ، بل العقاب على ما اغتصبه بالغاً في جوف الأرض وطبقاتها أقصاها ؛ وهذا يفيد أن السفلى تابع للسطح كأن الملوتابع له ، ولذلك استنبط الفقهاء من هذا الحديث : أن من ملك ظاهر الأرض ملك باطنها بما فيه من حجارة ثابتة ، وأبنية ومعادن ، وعيون ومنابع ، وغير ذلك .

وله أن ينزل بالحفر ماشاء ما لم يضر بجيرانه ، فإنه لا ضرر في هذا الدين ولا ضرار ؛ وله أن يمنع من يريد حفر بئر أو سرداب تحت أرضه يسلكه ، أو يسير فيه عربات أو قطارات ، وكذلك له منع الأنابيب وأسلاك البرق والكهرباء أن تمتد تحت ملكه .

والمراد بالأرضين هنا طبقات الأرض السبع التي نبه إليها القرآن قال تعالى : (اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) . وليعلم القارى أن الاعتداء على الحدود كثيراً ما سبب مشا كل خطرة ، وقضايا عديدة ، بل كثيراً ما أريقت فيه دماء ، وأنفقت في سبيله خزائن الأموال ؛ فلو أن الناس عملوا بهذا الحديث ، ووقف كل عند حده ، ما وقعنا في هذه البلايا ، بل لأرحنا الحكومة ، وخففنا عن مصلحة المساحة ، ولم نثقل عبء المالية بما تنفقه من مئات الآلاف في سبيل إقامة الأعلام الحديدية ، بل كنا نقتصد ذلك من هذا الباب لينفق في أبواب أخرى ، كتمبيد الطرق ، وشق الترع ، وإقامة السدود والقناطر ، وردم البرك ، وغير ذلك مما يساعد على تنمية الثروة ، ويخفف عن الفلاح عبأه .

وبعد : فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وفي الدنيا نزاع وعداوة ، ومتلفة وخسارة ، والطمع غبّه الندم ، فلا تدنس نفسك الظاهرة برجسه ، ولا تفسد أرضك بشبره ، فتنابها الأمراض الزراعية ، ويرسل الله عليها من جنوده الخفية ، فإذا بالثمر قليل ذاهب بالبركة ، وقليل في عفة ، خير من كثير في نهمة .

(الأدب النبوي الحديث ٢٧)

حديث في التحلل من المظالم في الدنيا

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ تَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ
أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ » . (رواه البخارى)

الشرح

ما أجل العدل ، وإيتاء كل ذى حق حقه ! وما أحسن الوثام يجمع شمل المسلمين ،
ويقوى رابطتهم ، ويشد أواصر وحدتهم ! .

وما أجدرهم أن يصدروا فى أعمالهم عن حب يتبادلونه ، وإخلاص يفيض عليهم هناة
وسعادة ! وما أشقاهم إذا لبسوا ثياب النور ، واضطبعوا بالأحن والبغضاء ، واستشعروا
الغل والضغن ، كل يبغى الشر لأخيه ، ويود لو اتهم ما فى يده ، وأودى بطارفه وتالده ،
واستأثردون الآخر بالخير ، ومرافق الحياة .

ماذا يرجو الظالم من ظلمه ؟ وماذا يرتجى لماقبتة ؟ وما الذى أعده يوم يقتص منه ،
ويؤخذ للمظلوم بحقه ؟ أن غرّه إقبال الأيام ، وابتسام الدهر له ، فليحذر تقلباته فإنها
شديدة قاسية ، ولئن اغتر بقوة جسمه ، وامتداد سلطانه ، فسيذوق لطقيانه وتجيده مرارة
الصاب والعلقم (يوم يفرُّ المرء من أخيه وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . يوم بعض الظالم
على يديه ويقول : يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً) ؟ .

هنالك تنجاب عن العيون الغشاوة ، ويتفرق عن العاصى الأصحاب والأنصار ،
ولا يبقى إلا ما أسلف من خير أو شر ، ويؤخذ بيد العاصى فينصب على رؤوس الناس ،
وينادى مناد : هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت ، فيأتون فيقول الرب :

أت هؤلاء حقوهم ، فيقول : يارب فנית الدنيا فمن أين أوتيتهم ؟

فيقول للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة ، فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته . وقد روى

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أَنْتَدْرُونَ مَنِ الْفُلْسِ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْفُلْسَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ. » (رواه الإمام مسلم)

الأدب النبوي — الحديث ١٢٠

حديث في دعوة المظلوم

عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال: « اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ ». (رواه البخاري ومسلم)

الشرح

هذا الحديث قطعة من وصية وصّى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (معاذ بن جبل) حين بعثه إلى اليمن سنة عشر قاضياً عليها أو والياً قال له:

« إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ (نَفَائِسُهَا) وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ. الخ. »

دعوة المظلوم على ظالمه دعوة حقة، وإنها لا تتصار من ظلمه (وَلَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأَوْلِيكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ)؛ وهي دعوة حارة سخنت من نار الغضب، صادرة من أعماق النفس، فكانت في السماء متصعدة، شأن الهواء إذا سخن، بعيدة المدى، شأن القنبلة إذا أطلقت من مدفع بعيد النور، فما تزال تشق أجواز الفضاء لا يحجبها حاجب،

ولا يردّها صاد ، حتى تصل إلى السماء فتخترق طبقاتها ، وتفقد من بنائها ، فيتقبأها ربها برداً وسلاماً لمن دعا ، وناراً وجحيماً لمن ظلمه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم استنبط هذا المعنى من قوله تعالى : (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) .

فالدعوة مشروعة بقوله : إلا من ظلم ، ومقبولة مسموعة بتعقيب الاستثناء بقوله : وكان الله سميعاً عليماً .

وقد جاء في حديث رواه أحمد بسند حسن : قبول دعوة المظلوم وإن كان فاجراً ، وأن فجوره على نفسه لا يقف دون دعوته .

وجاء في الحديث الصحيح : « أن إجابة الدعاء على ثلاث مراتب ، إِمَّا أَنْ يُجَابَ الدَّاعِيَ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَإِمَّا أَنْ يُدَخَّرَ لَهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ يُدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلُهُ » .

فلا تعجب إذا لم تجب إلى عين ما طلبت وقد ظلمت ، فإن الله عليم حكيم ، قد تقتضى حكمته عدم الإجابة إلى ما سألت ، والله يعلم وأتم لاتعلمون .

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم واليه وعامله وبعيثة وقاضيه من دعوة المظلوم ، وأمره أن يتخذ من دونها وقاية ، وما اتقاؤها إلا بتجنب أسبابها .

فلا يظلم أحداً ممن تحت ولايته في نفسه بإيذاء ، أو في ماله بانتقاص كأن يأخذ في الزكاة كرائم أمواله ، ونجائب حيوانه دون الوسط من ذلك ، فيوغر صدره ، ويسلّ لسانه ، ويبعث بدعوة المظلوم من قلبه ، ولا يجابي في عمله الأغنياء ، ويعرض عن الفقراء ، ولا ينفق عن ظالم لمكانة أو وجاهة ، ولا يقبل رشوة أو شفاعة في باطل .

وإن كان قاضياً تجنب المحاباة ، ووزع بالمساواة ، وأخذ للضعيف من القوى ، وتجرى الحق في قضائه ، والعدل في أحكامه ، إلى غير ذلك من آداب الولاية والقضاة ، فليكن قاضى الجنة ، والإمام العادل الذى يظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .

فيأبىها القضاة والولاية ، ويأبىها الحكام والرعاة ، خوّلكم الله رعيته ، وجعل تحت أيديكم

حقوقاً وأمانات ، فاتقوا الله فيها ، وأدوا الأمانات لأهلها ، ولا تنقصوا أحداً حقه ، ولا تبخسوا عاملاً عمله ، ولا تسلبوا مجداً أمله .

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) .

واعلموا أن من ظلمتم أوخذتم ، فالله ناصره ومعينه ، ووليّه وكفيله ، وإنه لمتقبل دعوته ، ومستمع شكايته ، ومنتقم ممن ظلمه ، وآخذ له منه حقه ، فاتقوا الديان ، واحذروا النكال (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) .

(الأدب النبوي — الحديث ٢٦)

حديث في نصر الظالم والمظلوم

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قالوا : يا رسول الله ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ » .
(رواه البخارى ومسلم والترمذى)

الشرح

لقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بنصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ؛ فالظالم في حقه أوماله نمنع عنه الظلم ، ونرفع عنه الحيف بكل مانستطيع من الوسائل ، فإن كان الكلام مجدياً في ارعواء الظالم عن ظلمه آثرناه ، وإن كان القضاء هو السبيل لاسترداد الحق المسلوب ساعدناه بالمال رسماً للقضايا ، وأجرأ للمحامين ، ومكافأة للخبراء . وإن كان لا يرتدع عن بغيه إلا بشكايته على صفحات الجرائد ، أرهفنا له القلم ، وسودنا له الصحائف .

وإن كان غشوماً لا تردعه إلا القوة سلكتنا سبيلها ، والمضطر يركب الصعاب ، والقصد أن تكون يدنا إلى يد المظلوم حتى يأخذ حقه ، ويبرد غضبه ، وتطمئن نفسه .

أما نصر الظالم فر بما خلته مساعدته على ظلمه ، أو مجاراته في عدوانه ، كما كان العرب يصنعون في عهد الجاهلية .

إذا أنا لم أنصر أخى وهو ظالم على القوم لم أنصر أخى حين يظلم
وكما يصنع أولو العصبية والجهالة ، والمتهاككون في الحزبية ، ينصرون شيعتهم بالحق
وبالباطل ، وليس نصر الظالم ذلك ، بل تمنعه من الظلم ، فإن أراد استلاب مال أخذت
بيديه ، وإن أراد اغتصاب حق حلت بينه وبينه ، وإن أراد البطش ببرىء ضربت على
يده إن كانت يدك أقوى منها .

وتراعى الحكمة في النعم لئلا ينقلب ظالماً لك ، وقد يكون شديد النكاية وأنت
ضعيف الزماية ؛ فإن كانت النصيحة رادعة سلكت سبيلها ، فإن لم تك مجدية فاستعن عليه
بمن هو أعلى منه ممن يخشى بأسه ، أو يهرب سلطانه ، أو يرجو مصلحة عنده ، فإن لم
يكن في ذلك رادع ، فاستعمل معه القوة ما قدرت عليه ، حتى يعود إلى حظيرة الحق ،
ويستقيم على النهج .

وإنما سمي الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك نصرًا وإعانةً مع أنه معاكسة وعداوة ،
لأن ظلمه إضرار بنفسه في حياته الحاضرة ، يعرضها للعقوبات القضائية ، ويشين سمعتها
بين البرية ، ويدنسها بالعيش من الحرام واستمراء الحقوق ، ويعرضها لعقوبة الله في الحياة
الآخرة ، بل في الحياة الدنيا .

(وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) .

فمن أراد قتل نفس عدواناً وظلماً إذا أرخيت له العنان حتى ارتكب هذا الجرم
الكبير عرض نفسه للقصاص ، واستلاب الحياة ، فأعقب ذكرى سيئة ، وتاريخاً أسود ،
ورملاً زوجته ، ویتّم ولده ، وأساء إلى أسرته ، وكان مثلاً سيئاً في الباقين .

فإذا منعه من جرمه ، وضربت بسيفك على يده ، حفظت له الحياة ، وأبقيت على
ذكره ، وأنجيت أهله وولده ، وحفظت الشرف على أسرته ، فكان ذلك نصرًا مؤزرًا ،
بل كنت له الصديق في ثوب العدو ، والحريص على خيره في لباس الراغب في شره .

فيايها المسلم لا تجعل للظلم بين المسلمين وجوداً ، ولا ترفيهم ظلماً أو مظلوماً ، بل اعمل على تمتع كل امرئ بحقوقه وطمانينته على شئونه ، وآثر الحق والخير ، وإن أغضبت الجهول به ؛ فإنه لك بعد نعم الشكور .

« والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . »

(الأدب النبوي — الحديث ٢٤)

الموضوعات

١ — ذكر ما قيل في الظلم أو الجور أو البغي

الظلم أو الجور أو البغي ، هو الخروج عن العدل في جميع الأمور ، كأخذ الأموال بغير حق ، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق والواجبات ، وتعدى حدود الله .

وهو أشد وطأة من الوباء ، وأكثر هولاً من الحريق ، وأعظم تخريباً من السيل ، وهو أذل للنفوس من ذل السؤال ؛ فهو أقوى أسباب انحلال الأمم وخذلانها ؛ فإذا فشا في قوم ضعفت نفوسهم ، ومرضت قلوبهم ، واتخذوا الباطل دينهم ، ومحاربة الحق شعارهم ، فمنعوا الزكاة المفروضة ، وبخلوا بالمساواة السنوية ، وبخسوا المكيال والميزان ، وحاربوا الملك الديان ، بأكلهم الربا ، وقبضوا أيديهم عن المكارم ، وعمت فيهم الأيمان الكاذبة ، والحيل في البيع ، والخداع والتزوير والنسق في المعاملة ، والمكر والحيلة في القضاء والاقتضاء .

فمن كان متصفاً بهذه الصفات الدنيئة ، فبطن الأرض خير له من ظهرها .
وقد حرمه الله في جميع الشرائع والأديان لأنه مفسد للمجتمع الإنساني ، مقوّض لنظام العمران ، مبطل للمدنية والحضارة .

وإليك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأقوال الصالحاء والعلماء والأدباء في تقبيح الظلم والابتعاد عنه .

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية سبق ذكرها مع بيان تفسيرها وشرحها .

أقوال الصالحاء والعلماء والأدباء

١ - كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له : إذا دعيتك قدرتك إلى ظلم الناس ،
فاذكر قدرة الله عليك .

٢ - قال بعض الصالحاء : إذا ظلمت من دونك عاقبك من فوقك .

٣ - وقال آخر : من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه . ومن طال تعديه ،

كثرت أعاديته .

٤ - قال الإمام علي كرم الله وجهه في شعره المشهور :

أما والله إن الظلم شوم ولا زال المسيء هو الظلوم

إلى الديان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصوم

سنعلم في الحساب إذا التقينا غداً عند المليك من الملوم

سنقطع اللذاذة عن أناس من الدنيا وتنقطع الهموم

٥ - وقال أحد الشعراء الأدباء :

لا تكن ظالماً ولا ترضَ بالظلم

يوم يأتي الحساب ما لظلوم (من حميم ولا شفيع يطاع)

٦ - وقال آخر :

وما من يد إلا ويد الله فوقها وما ظالم إلا سيدي بأظلم

٧ - وقال غيره :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم آخره يفضى إلى الندم

تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تتم

٨ - وكتب أبو العتاهية إلى هارون الرشيد على حائط السجن :

أما والله إن الظلم لو لم وما زال الظلوم هو المظلوم

إلى ديان يوم الدين تمضى وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في المعاد إذا التقينا غداً عند المليك من الظلوم
فلما بلغ الرشيد بكى بكاءً شديداً ، ودعا أبا العتاهية فاستحله ، ووهبه ألف دينار ،
وأطلقه من السجن .

٩- وقال بعضهم: الظلم كمين في النفس ، تظهره القوة ، ويخفيه الضعف .

وجاء في الأمثال :

الظلم مرتعه وخيم ، أى عاقبته مذمومة وسيدة

ظلم الأقارب أشد مفضاً من وقع السيف .

البغى آخر مدة القوم ؟ أى الظلم إذا امتد مداه أذن بانقراض مدة القوم الظالمين .

كلام لين ، وظلم بين : يضرب لمن يكون قوله طيباً ، وفعله خبيثاً مذموماً .

مسير بيت الظالم خراب : يضرب في بيان عاقبة الظلم .

مال الناس كناس : يضرب لمن يسلب أموال الناس ظلماً بغير حق .

من أعان ظالماً ساطه الله عليه : يضرب لانهى عن معاونة الظالم .

دولة الظلم لا تدوم . الظلم ساعة والعدل إلى قيام الساعة .

والظلم من شيم النفوس فإن تجرد ذاعفة فلغلة لا يظلم

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وقال أحد الشعراء في ذم (الباغى^(١) الظالم) .

يا أيها الباغى وظالم غيره ما أنت إلا كالمسيء لنفسه

فعداً سياتى الظالمون جزاءهم وينال كل ما جناه برمسه

زعم الذى ظلم العباد بأنه هو عادل تبا له فى زعمه

الظلم دولته تدوم لساعة والمرء مجزى بعقبى ظلمه

(١) على الباغى تدور الدوائر .

ياظالمًا كُفَّ المظالم قد كفي ولتتق المظلوم في دعواته
ضجت ملائكة السماء لربها لأنين مظلوم وطول شكاته
فليصبر المظلوم عما ناله فالله ينصره برغم ظلومه
والمظلون وإن تنهى أمرهم فالحق مصليهم بنار جحيمه

(يوسف عبد الخالق سلامه)

كوم النور

مجة الاسلام العدد ٣١ من السنة الرابعة

٢ - الظلم مؤذن بخراب العمران

اعلم أن المدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها، انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب.

فإذا كان الاعتداء عامًا في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك، لذهابه بالآمال جملةً بدخوله من جميع أبوابها.

وإن كان الاعتداء يسيرًا كان الانقباض عن الكسب على نسبته. والعمران ووفوره ونفآق (رواج) أسواقه إنما هو بالأعمال، وسعى الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين؛ فإذا قعد الناس عن المعاش، وانقبضت أيديهم عن المكاسب، كسدت أسواق العمران، وانتقضت الأحوال، وابدعرت الناس (تفرقوا وفروا) في الآفاق من غير تلك الإيالة (الأودية) في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها، نفخ ساكن القطر، وخلت دياره، وأخربت أمصاره، أو اختل باختلاله، حال الدولة والسلطان، لما أنها صورة للعمران، تفسد بفساد مادتها ضرورة.

وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في أخبار الفرس عن (الموبدان) صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام، وما عرض به للملك في إنكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان (اليوم) حين سمع الملك أصواتها، وسأله عن فهم كلامها؟ فقال له:

إن (يوماً ذكراً) يروم الافتتان (ببومة أشى) ، وإنها شرطت عليه عشرين قرية في الخراب في أيام بهرام ققبل شرطها وقال لها :

إن دامت أيام الملك أقطعتك ألف قرية ، وهذا أسهل مرام ، فتنبه الملك من غفاته وخلا (بالموبدان) ، وسأله عن مراده فقال له :

أيها الملك ، إن الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية ، والقيام لله بطاعته ، والتصرف تحت أمره ونهيه ، ولا قوام للشرعية إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ، ولا سبيل إلى العمارة إلا بالعدل ، والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصبه الرب ، وجعل له قياً وهو الملك ، وأنت أيها الملك عمدت إلى الضياع ، فانتزعتها من أربابها وعمّارها ، وهم أرباب الخراج ، ومن تؤخذ منهم الأموال ، وأقطمتها الحاشية والخدم وأهل البطالة ، فتركوا العمارة ، والنظر في العواقب ، وما يصلح الضياع ، وسومحوها في الخراج لقربهم من الملك ، ووقع الحيف على من بغى من أرباب الخراج ، وعمّار الضياع ، فأنجلوا عن ضياعهم ، وخلوا ديارهم ، وآووا إلى ماتعمر من الضياع فسكنوها فقلت العمارة ، وخربت الضياع ، وقلت الأموال ، وهلكت الجنود والرعية ، وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك إلا بها .

فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه ، وانتزعت الضياع من أيدي الخاصة ، وردت على أربابها ، وحملوا على رسومهم السالفة ، وأخذوا في العمارة ، وقوى من ضعف منهم ، فعمرت الأرض ، وأخصبت البلاد ، وكثرت الأموال عند جباة الخراج ، وقويت الجنود ، وقطعت مواد الأعداء ، وشجنت الثغور ، وأقبل الملك على مباشرة أموره بنفسه ، فحسنت أيامه ، وانتظم ملكه .

فتفهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب للعمران ، وأن عائدة الخراب في العمران على الدولة الفساد والانتقاض .

ولا تنظر في ذلك إلى أن الاعتداء قد يوجد بالأمصار العظيمة من الدول التي هي بها ، ولم يقع فيها خراب .

واعلم أن ذلك إنما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء وأحوال أهل المعمر ، فلما

كان المصر كبيراً ، وعمرانه كثيراً ، وأحواله متسعة بما لا ينحصر ، كان وقوع النقص فيه بالاعتداء والظلم يسيراً .

لأن النقص إنما يقع بالتدريج ، فإذا خفي بكثرة الأحوال ، واتساع الأعمال في المصر ، لم يظهر أثره إلا بعد حين . وقد تذهب الدولة المعتدية من أصلها قبل خراب المصر وتجيء الدولة الأخرى فترفعه بجديتها ، وتجبر النقص الذي كان خفياً فيه فلا يكاد يشعر به إلا أن ذلك في الأقل النادر .

والمراد من هذا أن حصول النقص في العمران من الظلم والعدوان أمر واقع لا بد منه لما قدمناه ، ووباله عائد على الدولة .

ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكة من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور ، بل الظلم أعم من ذلك ، وكل من أخذ ملك أحد ، أو غصبه في عمله ، أو طالبه بغير حق ، أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه .

فجباة الأموال بغير حقها ظلمة ، والمعتدون عليها ظلمة ، والمنتهبون لها ظلمة ، والممانعون لحقوق الناس ظلمة ، وغصاب الأملاك على العموم ظلمة ، ووبال ذلك كله على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذها به الآمال من أهله .

واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم ، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه ، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري ، وهي الحكمة العامة المرعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة : من حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال .

فلما كان الظلم كما رأيت مؤذناً بانقطاع النوع لما أدى إليه من تخريب العمران ، كانت حكمة الخطر فيه موجودة فكان تحريمه مهماً ، وأدلته من القرآن والسنة كثيرة أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصص^(١) .

ولو كان كل واحد قادراً عليه لوضع بإزائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بإزاء غيره من المفسدات للنوع التي يقدر كل واحد على اقترافه من الزنا والقتل والسكر .

(١) انظر الآيات القرآنية التي وردت في الظلم وأسبابه وذمه وتحريمه وعقوبته في الدنيا والآخرة .

ألا إن الظلم لا يُقدّم عليه إلا من يقدر عليه ، لأنه إنما يقع من أهل القدرة والسلطان
قبولاً في ذمّه ، وتكرير الوعيد فيه ، عسى أن يكون الوازع فيه للقادر عليه من نفسه ،
(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) .

ومن أشدّ الظلمات وأعظمها في إفساد العمران تكليف الأعمال ، وتسخير الرعايا بغير
حق ؛ وذلك أن الأعمال من قبيل التمولات ، لأن الرزق والكسب إنما هو رقيم
أعمال أهل العمران ؛ فإذن مساعيهم وأعمالهم كلها متمولات ومكاسب لهم ، بل
لامكاسب لهم سواها .

فإن الرعية المعتملين في العمارة إنما معاشهم ومكاسبهم من أعمالهم ذلك ، فإذا كلفوا
العمل في غير شأنهم ، واتخذوا سخرياً (سخرة) في معاشهم بكل كسبهم ، واغتصبوا قيمة
عملهم ذلك ، وهو متمولهم ، دخل عليهم الضرر ، وذهب لهم حظ كبير من معاشهم ،
بل هو معاشهم بالجملة .

وإن تكرر ذلك عليهم أفسد آمالهم في العمارة ، وقعدوا عن السعى فيهم جملةً ، فأدى
ذلك إلى انتقاض العمران وتخريبه ، والله سبحانه وتعالى أعلم ومنه التوفيق .

(مراجع البيان من ١٤٩ - ١٥٢)

٣ - إن الله يمهل الظالم ويمدده

من حكم الله السامية ، التي تدق أحياناً حتى ليقف العقل البشري منها موقف الحيرة
والتشكك ، أنه سبحانه وتعالى لا يأخذ المجرم أو الظالم بمجرد وقوعه في الإثم ، بل يمهله
ويمدده كي يتدبر عواقب إثمه وما يجره على المجتمع من ويلات ونكبات (قُلْ مَنْ كَانَ
فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا) فإذا تاب وأتاب ، وعاد إلى جادة الحق والصواب ،
لطف الله به في العقاب ؛ أما إذا استمرّ الجريمة ، ومضى في طريقها قدماً لا يلوى على شيء ،
أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، فأصبح عبرة لمن يعتبر .

وإن كثيرين من الناس لتقسو قلوبهم ، فتصبح كالحجارة أو أشد قسوة ، وتتضاءل
ضماؤهم حتى لتصبح إلى الموت أقرب منها إلى الحياة ، فلا يحسن هؤلاء أن الله غافل عما
يعملون ، إنه لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا ينزل العقوبة إلا بقدر ،
وفي وقتها المناسب .

وفي كل يوم يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ، فهل من مدكر؟ وهل من مزدجر؟

إنه لمن اليسير جداً أن نصل بين اليوم والأمس ، لنرى كيف ينحط الإنسان من عالٍ إلى الدرك الأسفل إذا لم يتخذ له من غيره رادعاً ، ومن ضميره وازعاً .

الأساس في ١٩/٩/١٩٤٧

٤ - خطبة في النهي عن الظلم

في دماء الناس ، وأموالهم ، وأعراضهم

الحمد لله الذي أعدّ لمن أطاعه نعمياً مقيماً ، وأعدّ لمن عصاه ناراً تلتظى وعذاباً أليماً .
(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، نهى عن الظلم ولعن الظالمين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله جاءنا بالدين الحق المبين ؛ اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .
أيها المسلم : إن خالقك العظيم ، القاهر فوق عباده ، حرّم الظلم على نفسه ، وجعله محرماً على خلقه ، كما ورد في الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى :

« يَا عِبَادِيَ إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا »

وقد لعن الله الظالمين في كثير من كتابه الكريم ، وأوعدهم سوء المصير في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) وقال : (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا) .

والظلم : هو الاعتداء على دماء الناس ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وحرمانهم من حقوقهم .
فلا يحل لمسلم أن يتعمد قتل أخيه ظمناً وعدواناً ، ومن فعل ذلك فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ولعنه ، وأعدّ له عذاباً عظيماً .

وياويل من غضب عليه الملك الجبار ولعنه ! فإنه لا ريب يكون من الخاسرين المهالكين . ولا يحل لمسلم أن يؤذي أخاه بالضرب والصفع وغير ذلك ، ومن فعل ذلك فإنه يجعل لغيره حقوقاً في عنقه يتقاضاها من حسناته في الآخرة إن لم يعف عنه في الدنيا .

ولا يحل لمسلم أن يهتك عرض أخيه بأن يعتدى على عفاف أهله ، أو يرميه بفاحشة وهو برىء منها ، أو يشهد عليه زوراً ، ومن يفعل ذلك فإنه يجنى جنايةً عظيمةً ، ويقترف إثمًا مبینًا ، وجزاءه الخزي في الدنيا ، والعذاب الشديد يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ولا يحل لمسلم أن يعتدى على أموال الناس فيأكلها بالباطل ، ويستولى عليها بالحيلة والزور ، أو بالبطش والاعتدار ؛ ومن يفعل ذلك فإنه يصلى نارًا حاميةً في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، يوم ترد فيه المظالم ، فيقول الله الحكم العدل للظالم : أوما عليك من حقوق سلبتها ، وأموال أكلتها ظلماً وعدواناً ، وزوراً وبهتاناً ؟ فلا يجد هناك ما لا يسد به عن نفسه ، ولا يجد صاحباً ولا حمياً يسد عنه ، فيؤخذ من حسناته أو يضاعف له في سيئاته ، ثم يكب على وجهه في النار ، وذلك جزاء الظالمين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ ، فَمَنْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَظَلَمَ النَّاسَ ، فَإِنَّ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ الْهَلَاكُ وَالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » . (من حديث رواه مسلم)

أيها الظالم لا تغتر بقوتك وجاهك وسلطانك ، فتظلم الضعفاء ، فإن ربك لبالمرصاد ، وهو سبحانه يسمع دعاء المظلومين ، ويستجيب لهم ، ويفضض على الظالمين وينتقم منهم ، وإن بطشه لشديد ، وإن عذابه لواقع ، ماله من دافع ، فلا يغني عنك يامسكين جاهك وسلطانك من الله شيئاً ، واعتبر بمن كان قبلك من الذين كانوا أكثر منك قوةً ، وأشد بطشاً ، فقد أهلكهم الله بظلمهم ، وما كان لهم من دون الله ولي ولا نصير .

أيها الظالم : انظر إلى آثار الظلم السيئة بين الأمم والأفراد ؛ فكم دمر الظلم دوراً مشيدةً عامرةً ، وكم ذهب بأنعم عظيمة فاخرة ، وكم أضاع مجدداً كبيراً ، وكم أهلك أمماً ذات بأس شديد وسلطان ، ولم يبق لهم إلا ذكرى مقرونة بالسخط واللعن من الله والملائكة والناس أجمعين .

فمالك لا تزجرك الزواجر ، ومالك لا تؤثر في نفسك عظات الزمان ، ومالك لا تخاف

سوء العاقبة والمصير؟.

فانتق الله في نفسك ، وأد للناس ما عليك من الحقوق ، قبل أن تندم حين لا ينفع الندم ، وإياك والظلم ، فإن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون .

الحديث — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثَلَاثَةٌ لَا تَرُدُّ دَعْوَهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفِطَرَ ، وَالْإِمَامُ الْقَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرَفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .

(رواه أحمد والترمذى وغيرهما)

من مجموعة الخطب المنبرية لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيري

خطبة أخرى في الظلم وسوء عاقبته

الحمد لله الذي بين لنا أن العدل خير ما تأسس به البلاد ، وتصلح به أحوال العباد ، وأشهد أن لا إله إلا الله هو يجزي الظالمين بظلمهم ، ويكافي المجدين على جدهم ، وينيلهم ثمرة جهادهم ، إن بذلوا أنفسهم وأموالهم في خدمة الحق ، والدفاع عن حقوق الناس .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، حكم بالعدل والحق ، والأناة والرفق ؛ فما أجل حكمه وما أعدلته ، وما أبعدته عن الجور والجبروت !

وما أفضل أصحابه الذين ساروا في طريقه ، وسلكوا بسلكه ، حتى دانت لهم الأمم في مشارق الأرض ومغاربها بفضل العدل واتباع الحق .

فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد — فإن للحق هيمنة على النفوس ، وللين سلطاناً على القلوب ، وإن من أحسنت إليه أطاعك وأحبك ، ومن أسأت إليه مقتك وكرهك ، ولو كان أقرب الناس إليك ، وأعظمهم منزلة لديك ؛ فكيف إذا لم يكن من بني جنسك ، أو كان من وطن غير وطنك ، أو كان دونك في المعرفة والعلم ، أو الخلق والفهم ، لاشك أن المقت يكون له شديداً والسخط عليه يكون عظيماً .

يرحمك الله يا عمر ! أيقظت العدل ليحكم بين الناس ، فنمت آمناً مطمئناً ، غير محتاج

إلى مرهفات السيوف ، ولا إلى كثرة الجنود ؛ فوفرت على المسلمين النفوس المصدبة ، وعلى خزيتهم الأموال الكثيرة .

أما أنت يا حجاج فأترت الظلم على العدل ، والباطل على الحق ، واغتصبت حقوق الضعفاء ، وأرقت دماء الأبرياء ، وملأت السجون بالمظلومين ، والكثير من البررة المتقين ، ولجعت الناس في شبابهم ؛ كما أخذت كثيراً من أموالهم ، وسلبتهم أعز الأشياء عليهم : حريتهم فيما يقولون أو يكتبون ، ويخطبون أو يؤلفون .

فرقت أموال المسلمين في قبيلتك وأعوانك ، وأبعدت عن الوظائف من لم يكن من أقربائك وأصحابك ، ولم يسلم من شرك إلا القليل ، فأصبحت كل نفس تضمر لك بين جنبها عداوة ، وتتمنى لك أعظم مصيبة ونكابة ، فأكثرت من الحرس والأجناد ، وأرسلت الجواسيس في كل مجتمع وناد ، وبذلت كثيراً من الأموال للخونة اللثام ، ليجثوا عن الأشراف الأطهار ، الذين لا يرضون إلا الحق ، ويأبون إلا الإنصاف والعدل ، حتى إذا تمكنت منهم طوحت رؤوسهم ، وأزهقت أرواحهم ، أوزججت بهم في سجن مظلم (زنزانه ضيقة) ، لا يبصرون فيها شعاع الشمس ، ولا يتنسمون فيها رائحة الحرية .

كل ذلك كان منك يا حجاجنا ، يا أعتى العتاة ، وأطغى الطغاة ، فهل أغنت عنك سيوفك وجيوشك وأعوانك وجواسيسك ، ومكرك وحيك ؟ هل أغنت عنك تلك الدماء البريئة ، والأرواح الشهيذة .

كلّاً لم يغن عنك من الله شيئاً ، بل أخذك الله أخذ عزيز مقتدر ، وسلب عنك ذلك الملك ، وحرّمك من ذلك العرش ، وانتقم للمظلومين المستضعفين .

فيا ظالماً أقلع عن ظلمك ، واعلم أن الله لك بالمرصاد (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) .

روى مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم » .

(من كتاب إصلاح الوعظ الديني ص ١٥٥ باختصار)

خطبة أخرى في الظلم

الحمد لله الذي حرّم الظلم على نفسه حتى لا يظلم إنساناً إنسان ، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لم يبيح بلا حق دمًا ولا عرضاً ولا مالاً لكائن من كان ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ، الذي علمنا الإنصاف في كل شأن ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن كملهم يعدلون .

أما بعد— فيا عبد الله ، لقد وصل الناس اليوم في ظلم بعضهم إلى حد تقصر عن شرح بعضه العبارات ، حتى لو حكى لمن لم يره بادر إلى الجزم بأنه من المفتريات ، حتى يجمع إلى غضب الخلق ، غضب مولانا فاطر السموات ، ذلك أنهم لا يتهيبون ظلماً إلا إذا رأوا بجانبه عصا القانون ، فإذا أمن أحدهم بطش ذلك القانون بطش هو بطشة الجبارين ؛ فإذا اشتبهت نفسه شتم امرئ شتمه مهما كان نقيّ العرض والدين ، وإذا اشتبهت ضربه مال عليه ميلةً لارحة معها بالشمال وباليمين ، وإذا همت بأكل ماله نفذ ذلك بغاية الجراءة وبطرق شتى مسلكتها يهون ، وإن سوت له أن يطعن في حسب امرئ أو نسبه طعن طعنًا تقشعر منه الأبدان ، وإذا زينت له أن يقتله متعمداً أراق دمه في الحال غير ندمان .

وهكذا لا يقوم بنفسه لون من الظلم إلا سارع إلى فعله مسارعة الشجعان ، كأنه لا يؤمن بالموت ولا بالبعث ، ولا بأن الجزاء على الأعمال سيكون .

كل الناس اليوم هكذا ، إلا من عصمه الله من العباد الصادقين ، ولذلك ترى نيران الظلم تشتعل في أنحاء الدنيا بحالة تزعج الناظرين .

لتعلم أيها المؤمن أن حياتك هذه لا بد أن تنتهي ولو عشت آلاف السنين ، ولا بد أن تحيا حياة أخرى فيها يخذل الظالمون ، وينتصر عليهم المظلومون ، حياة يجاء فيها بالظالم فتؤخذ حقوق المظلومين مما له من حسنات ، فإن لم تف حسناته أخذ من سيئات المظلومين بقدر حقوقهم ، وطرحت عليه تلك السيئات ، وليس بعد ذلك إلا النار التي لا يتحملها هر بل ولا الأرض والسموات ، يرى فيها من ضروب الآلام ، وصنوف العذاب ما لا يتصوره المتصورون ، فليتماد على ظلمه من رضى لنفسه أن يكون في ظلمات يوم القيامة أينما سار .

ومن سرّه أن تفرق حسناته ، وتضاف إليه أوزار فوق ماله من أوزار ، فليتأد وهو يعلم أن النار مأواه وفوق النار غضب الجبار ؛ ومن أشفق على نفسه من ذلك فليحذر ظلم العباد كما يحذره الفضلاء المنصفون .

(حديث) : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . (رواه البخارى ومسلم)
(حديث آخر)

« أَتَدْرُونَ مَنْ الْمَفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمَفْلِسُ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ فِينَا وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمَفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » . (رواه مسلم والترمذى)
(من ديوان منتهى آمال الخطباء)

٥ - إخفاء الجريمة والتستر على المجرم ظلم

إن إخفاء الجريمة والتستر على المجرمين من أكبر أنواع الإجرام ، وأشنع ضروب الآثام ، لما يترتب عليها من إفلات المجرمين من العقاص والتشجيع على انتشار الفساد في البلاد ، وإخلال الأمن العام ، وقد الطمأنينة على الأنفس والأموال ؛ وبذلك تعم القوضى ، ويضطرب حبل العمل ، ويتسرب إلى النفوس اليأس ، ولا يبقى لأحد أمل في نتائج مجهوداته ، ومقترف هذه الجريمة يعاون المجرم على ارتكاب الآثام ، وكان الأجدر به أن يحول بينه وبين اقرار جريمته عملاً بقوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) .

كذلك مقترف هذه الجريمة غاش لأولى الأمر الذين يجب الإخلاص لهم ، ومعاونتهم على أداء واجبهم على أكل وجه بالضرب على أيدي المفسدين ، كما أنه غاش للأمة بإخفاء الجرائم والتستر على من يعبثون في حقوقها فساداً ؛ ولما كان الإخلاص لأولى الأمر ، ولسائر المسلمين عظيم الأثر في حياة الأمة جعله الله الدين كله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ . قُلْنَا لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ
وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .

والنصيحة : الإخلاص والصدق والعمل والمشورة . والتستر على المجرم من يقيم البرهان على
أنه خلو من هذه الصفات الجميلة التي يجب أن يتحلى بها المرء ليقوم بنصيبه في هذه الحياة
خير قيام ؛ وجاء في الأمثال : المتستر على اللص لص مثله ؛ ومن يخفي الجرائم ويعاون
مرتكبيها بسترهم ، يفكك وحدة الأمة ، ويعمل على فصم عرا اتحادها .

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ
لَكُمْ ثَلَاثًا : يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوا ، وَأَنْ تَذَاهَبُوا بِيَدِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَيَكْرَهُ : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ
السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ » .

وقال تعالى : (قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِمُنْجِرٍ) .

وذلك الذي يخفي الجرائم ويستر المجرمين يخالف قول الرسول العظيم : « مَنْ رَأَى
مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ
وَذَلِكَ أضعفُ الأيمانِ » .

فكان واجبا عليه أن يمنع المجرم باليد أو اللسان ، ولكنه لم يعمل ذلك ، وتستره عليه
دل على أنه لم يغير بقلبه ، بل هو راض عن الجريمة ، معاون للمجرم ، ولم يبذل له النصيحة
الواجبة ، ولم ينهه عن المنكر ، وعدم التناهي عن المنكر ومصادقة المجرمين سبب في غضب
الله تعالى ولعننته .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَوَّلَ
مَا دَخَلَ النَّفْسَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ : يَا هَذَا
اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ، فَلَا يَمْنَعُهُ
ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيْلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيْدَهُ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ
بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ » ثم قال :

(لَعْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ
بِأَعْوَابِهِمْ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)
ثم قال : « كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى
لَدَى الظَّالِمِ ، وَلَتَطْرُقَنَّ عَلَى الْحَقِّ أَطْرَافًا ، وَلَتَقْصُرَنَّ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا ، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ
لَهُ بِقُلُوبٍ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ لَيَأْمَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ، ثُمَّ يَقْدِرُونَ
عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا فَلَمْ يُغَيِّرُوا ، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ، ثُمَّ تَدْعُوهُ
فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ » .

وإخفاء الجريمة والتستر على المجرم يكون ممنوعاً إذا كانت الجريمة اجتماعية يقع ضررها
على الأمة كالقتل والسرقة ، أو الائتثار بما يضر الأمة في أخلاقها أو نظمها أو غيرها .

أما إذا كانت الجريمة فردية كشراب الخمر خفية ، فالطلب حينئذ التستر على المجرم
والنصح له بالابتعاد عن معاودة الجريمة .

كان لعقبة بن عامر الصحابي الجليل رضى الله عنه جيران يشربون الخمر ، فنهاهم كاتبه
عن ذلك فلم ينتهوا ، فأخبر عقبة بذلك وقال : سأدعو لهم الشرط . فقال عقبة له : دعهم ،
ثم كلمه سره أخرى فقال : ويحك دعهم فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَنْ أَحْيَا مَوْءِدَةً » .

٦ - المحاباة ظلم عظيم

لتجدن أشد الناس ضرراً بأنفسهم وبالمجتمع الإنساني ، أولئك الذين عرفوا بالمحاباة
والمحسوبية ، وطبعت نفوسهم على حبها فكانت لهم خلقاً ذمياً ، ووصفاً معروفاً لثبياً ،
أولئك هم الضارون بآمتهم ، الخائنون العاشون .

فأى ضرر أو خيانة أو غش أبلغ من تقديم غير المستحق على المستحق؟ أو أخذ درجة المستحق وإعطائها لغير المستحق؟ أى ضرر أو خيانة أو غش أبلغ من ترجيح الجهلاء على على الأَكفاء ، وإعانة الأَقوياء على الضعفاء ، والأعداء على الأصدقاء ، إلى غير ذلك من مجلبات الشر والبلاء؟.

هذا الخلق الذميم ، إذا وجد في شخص مهما كانت رتبته ودرجته أُلجأ إلى الظلم ، والظالم غير محبوب ، وإلى خلف الوعد ، والخلف في وعده غير محمود ، وإن شئت فقل : المحاباة هي عين الظلم والظلم الجسم .

والمحابى وإن كان يجد له ناصراً ومعيناً ، فيكون ذلك من طريق الخوف منه والنفاق والملتق والرياء له .

وإن أسباب المحاباة كثيرة : كالقراية أو الصحبة أو الدين أو المحبة القلبية ، أو الاتحاد في الحزبية أو الرشوة ، وهي بنست العطية؛ لأنها الملجأ القوي إلى المحاباة ، خصوصاً إذا كان المحابى لا يخاف رقيباً ، ولا يخشى عقاباً ، فإنه يحابى ويكثر من ذلك طمعاً في المال ، وحباً في الذهب والفضة ، ولو ضاعت بلاده ، أو محقت دولته ، نعوذ بالله من شر ذلك .

يحابى الرجل واحداً من أسرته ، ويساعده على ارتكاب المحرمات ، ويعينه على أكل أموال اليتامى ظلماً ، فيختل لذلك نظام الأسرة ، ويوجد بين أفرادها الشقاق والخصام ، والبغض والعداء ، فتتصرف الأعضاء ، ويشتد البلاء ، ولو أحسن صنماً لعدل بينهم ، حتى يعيشوا إخواناً ، ويموتوا أحبباً .

أعرف رجلاً قسم أمواله بين أولاده ، ويميز واحداً منهم بشئ قليل لأنه يحبه ، ففضب الباقون ، واشتعلت في صدورهم نيران الحسد ، فأهانوا أباهم بالضرب المؤلم ، وأذاقوا أخاهم مرارة الموت ، فزجوا في السجن ، وذاقوا سوء العذاب ، وكادت الأسرة أن تمحى ، ولولا المحاباة لما كان شئ من ذلك .

وأعرف شخصاً آخر تعين وصياً على أولاد أخيه ، فتهبهم وأكل أموالهم ، وضع حقوقهم ، وكان أحد أسرته مساعداً ومعيناً له على ظلمه ، فنسب في تفريق الأسرة إلى

قسمين : قسم يحابى المجرم الظالم ، وقسم يناهضه للحصول على حقوق اليتامى المساكين حتى أثبت لهم حقوقهم ، ورجع الفريق الأول خائباً مخذولاً .
ومثل الرجل فى أمرته ، مثل الرئيس مع مرءوسيه ، والحاكم مع رعيته ، والقاضى مع المتحاكين إليه .

فالحاكم يجب عليه أن يعدل فى أحكامه ، ويسوى بين الناس فى مناصبهم ودرجاتهم وما يستحقونه بحسب القانون ، وما تؤهلهم له كفاياتهم واستعدادهم ، دون محاباة ولا تمييز لفريق دون آخر ، ولا مراعاة لوساطة أوقرابة أو ماشابه ذلك ، مما هو ظلم وعسف يؤدى إلى فساد الأخلاق ، وتفشى داء الكسل والانتكال على الجاه والسلطان والنفوذ ؛ فتتصرف النفوس من أجل ذلك عن العمل الجدى المثمر ، وتصد عن سبيل الجد والسعى والاجتهاد .
وبذلك تفسد أداة الحكومة وتتعطل الأعمال ، لأن من يتسكون على جاه أو وساطة يشعرون بأنهم مفضلون فى أخذ المناصب على غيرهم ، فيكسلون ولا يقومون بعمالهم خير قيام والمثل الأعلى للحاكم يكون فى المحافظة على مال الدولة ، ومنع أقاربه من الانتفاع بجاهه إحقاقاً للحق ، وإزهاقاً للباطل ، ويجب عليه أن يختار للوظائف العامة أكفأ أبناء الشعب ، وأكلمهم أخلاقاً ، دون التفات إلى الوساطة والزلفى ؛ ويتسنى له ذلك بوضع قواعد عادلة للتوظيف والترقية ، وتقرير المكافآت لمن يمتاز منهم بإخلاصه ونشاطه وتفانيه فى العمل ؛ فإذا لم توضع هذه القواعد العادلة ، ولم تراع الأمة فى اختيار رجالها الكفاية والاستعداد والنبوغ ، أوشأ فيها داء الوساطة والمحسوبية ، تغلب ذوو الشفاعة على ذوى الكفاية ، واختل ميزان العدالة ، وعمّ الظلم ، وانتشر فى جميع مرافق الحياة ، وأخذ مقاليد الأمور من لا يحسنون القيام بها ، ولا يستطيعون الاضطلاع بأعبائها ، وحيل بين ذوى العبقريات ، ومهام جديرون به من تولى المناصب ، وتدير شئون الحكم ، فتختل أمور الدولة .

أما القاضى المؤتمن على العدل ، وعلى حقوق الناس ، فمن الواجب أن يكون أنبل الناس خلقاً ، وأطهرهم نفساً ، وأعظمهم يداً ، وأذكاهم عقلاً ، ضماناً للعدل ، وإصلاحاً لنظام المجتمع .

وإذا نظر الإنسان إلى الأمم الراقية السعيدة وجدها بعيدة عن التجابى ، طاهرة من

هذا الخلق السيئ؛ لاتسند الوظائف ولا المناصب لغير أهلها ، ولا تعطى القوس غير بارئها .
فما للناس لا يتركون هذا الخلق السيئ القبيح ؟ خلق المحاباة والمحسوية ، ويقدمون
العارف على الجاهل ، والذكي على القبي ، والمحق على المبطل ، حتى تسير الأعمال في طريق
التقدم والارتقاء ؛ وبذلك يسعدون وتسعد أمتهم ، ويرتقون وترتقى بلادهم .

ومن أحسن حياة ، وأطيب عيشاً ، وأخلد ذكرى ، ممن استمسك بالعدل ،
واعتم على العفة والنزاهة ، وكان من الذين لا يعرفون المحاباة ولا المحسوية ، ولا يحبون
من وصفوا بها ؟

عصمنا الله من المحاباة وضررها حتى تسعد أمتنا ، وترقى بلادنا ، ونكون من الفلحين
الفائزين ، ومن عباد الله الخالصين .

٧ - المحسوية خطر اجتماعي عظيم

المحسوية داء وبيل انتشر في هذا الزمن ، وفي هذا البلد ، ويستحيل استئصاله تماماً
لامن هذا البلد ، ولا من أى بلد في العالم ، وإن كان انتشاره بالطبع يقل كلما تقدمت
البلاد ، وارتقت ارتقاء صحيحاً يحمل الأسبقية في الوظائف ، والتقدم فيها للمواهب والمهم
والكفايات (المؤهلات) والأخلاق ، لالتملق والرياء والنفاق .

غير أن القدر نفسه قلما يترك المحسوب الحبل على الغارب ، وهو عدل إلهي لا تقل
الشواهد عليه ؛ فكثيراً ما ترى الكبير والوزير ينتكر محسويه ، ويقضب عليه أحياناً ،
بل وتجده ينتقل من وظيفته الكبيرة ، أو يحال إلى المعاش ، أو يمرض أو يموت ، فيقع
المحسوب (الذي تعين أو ارتقى بدون وجه حق) يقع في حيص بيص ، ويرى ألواناً من النذل
والعذاب والبهذلة والاضطهاد ، ما كان أغناه عنها لو تحصن بالعمل والجد والعفة والنزاهة ،
بدل المحسوية والتزلف ، وبذل ماء الحياة .

وإليك أسوق مثلاً وقع بالفعل لأحد صغار الموظفين وهو : أنه قضى في الخدمة
١٦ سنة في الدرجة الثامنة ، إلى أن وصل إلى نهايتها وهي عشرة جنهيات ، وجميع التقارير
المقدمة من حضرات رؤسائه تشهد له بالكفاءة والاستقامة والإخلاص في عمله ، ولذلك
طلبت الإدارات المتعاقبة التابع لها هذا الموظف إنشاء درجة سابعة في الميزانيات المتوالية

منذ سبع سنوات لترقيته إليها ، وقد صدق على الميزانية الأخيرة في السنة الماضية معتمداً فيها الدرجة السابقة لوظيفته ، وترقيته إليها شخصياً ، فحمد الله على ذلك ، ولبت منتظراً منحه إياها .

وبينا هو في الانتظار إذ فوجئُ بـخبر أدهشه وأضاع صوابه وهو : أن الوزارة التابع لها هذا الموظف المسكين أخذت الدرجة السابعة المسجلة في الميزانية باسمه وأعطتها لشخص آخر من المحاسب ، وحرمت صاحبها منها ، ولهذا ضاع حق هذا الموظف المسكين ، الذي قضى ست عشرة سنة في الخدمة بكل إخلاص وأمانة ، وقضى فيها حياته وشبابه وصحته ، وكان ينتظر بفارغ الصبر أن يصل هذا المظلوم ، إلى حقه المهضوم ؛ ولما كاد أن يصل إليه خانه سوء الحظ والبخت المشؤم ، فاعتصب منه ، وأعطى إلى غيره ، مع أنه ذو عائلة كبيرة : (زوجة وسبعة أولاد وأختين عانتين) .

فماذا يقول الإنسان في هذا الحادث الغريب ؟ يقول : ما أظلم الإنسان للإنسان ، ولعن الله المحسوبة ؛ وهل يجوز شرعاً وقانوناً أن يكون الظلم وهضم الحقوق مكافأة لمن يبذل جهوده ووقته في سبيل الخدمة العامة ؟ وهل يجوز شرعاً وقانوناً أن يؤخذ حق الشخص المستحق ، ويعطى لغيره نظير المحسوبة ؟

ولما رفع هذا الموظف المسكين شكواه إلى أولى الأمر قيل : إنه حقيقة مظلوم ، ووعد بإعطائه الدرجة عند وجودها . وهيئات ههنا لما يوعدون . وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

وهذه الحادثة ذكرتني بحادثة مثلها وقعت لي منذ كنت كاتباً بوزارة المعارف العمومية وهي : أتت لي لبت في الخدمة بدون ترقية مدة عشر سنوات ، ولما أراد الله وتأثر أمام اسمي في جدول الترقيات من الوزير نفسه بمنحى الدرجة المطلوبة ، وهنئت بها فعلاً أخذها مساعدة السكرتير العام وأعطاهم لأحد الكتبة محاسبه وحرمني منها ، فقلت في نفسي : حقيقة (إنها للمحسوبين لا للموعودين) وكل شيء بإرادة الله وقدره مؤمناً بأن كل شيء بقضاء وقدر فيظهر أن الظلم كان منتشرًا من عهد بعيد ، ولا يزال منتشرًا في كثير من الجهات ، ولكنه لا يظهر إلا على أيدي أناس خصهم الله بهذه الرذيلة ، كما خص بعض الحيوانات

الكاسرة بأساحة للإيذاء والضرر، والله في خلقه شتون؛ وجاء في الأثر: «طُوبَى لِمَنْ أُجْرِيَتْ الْخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أُجْرِيَتْ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ» .

وثيقة تاريخية

(عقوبة النفي المؤبد للمحسوبة)

تلقينا من الأستاذ السعيد حبيب الكلمة الآتية :

استرعى التفات المصريين والأجانب قول جلالة الملك في خطاب إسناد الوزارة للدولة أحمد ماهر باشا: (رحمه الله) إنه يحرص على أن تقوم في مصر وزارة تسوى بين المصريين في الحقوق والواجبات .

ومن قبل استرعت نظري وثيقة تاريخية من عهد المغفور له محمد علي باشا منشىً مصر الحديثة ، تتضمن نفس المعنى ، وتزيد عليه تقرير عقوبة النفي المؤبد حتى الموت ، للوساطة والمحسوبة ، وإني أبادر بنشر هذه الوثيقة من غير تعليق تحيةً منى لمولاي الملك ، وإذاعةً لتقاليد العرش الموروثة في حكم البلاد :

دقترقم ٥٤ مية تركى .

نص الوثيقة التركية رقم ٥٢٨ .

بتاريخ ٣ محرم سنة ١٢٥١ .

أمر من الجناب العالى :

إلى مختار بك .

لقد سمعت أن بعض المشايخ القاطنين بقسمى الجيزة والقليوبية قد حدث بينهم وبين أكابر الموظفين بالبلاد المحروسة تعارف ومودة ، فيأخذون من أولئك الأكابر كتب توصية كلما مستهم الحاجة لينالوا مساعدة من نظار الأقسام فيرسلونها إليهم ، وإن هذه المادة قد بدأت تسرى بين العلماء وغيرهم على هذه الوتيرة ، فما أن هذه الحوادث قد جرت في تلك المديرية ، وقد لاحظت أنها ستسرى بطبيعة الحال إلى المديرية الأخرى ، بل إلى سائر الدواوين المصرية ، فأصدروا قرارات من الآن وأذيعوها ، ليعلم كل أحد أن من أتاه كتاب كهذا أيا كان شخصه ، ولم يرسله إلينا مباشرةً ، فإني مرسله إلى (أبي قير) ، وتاركة

يضيع فيه حتى يموت ، وذلك ليكون عبرة لغيره ، ولا يعودوا لمثل هذا العمل ، ليعلموا ذلك وليأخذوا حذرهم .

حاشية : أعلنوا أيضاً أن الذي يعطى مثل هذه التوصيات سينفى إلى (أبي قير) مؤبداً إن كان من الموظفين ، وأما إن كان من العلماء ، فسينفى إلى الحلة مؤبداً أيضاً .

الأمرام في ٢٥/١٠/١٩٤٤

٨ - الإسلام رحمة للإنسانية وحفظ لها

والشعوب الظالمة شقاء ومعول الخراب والفناء

دين الإسلام ، هو الدين الذي جاء رحمة للعالمين ، فحفظ الدماء ، وصان الحقوق والأعراض والأموال ، وراعى حرمة الجوار ، واحترام كل عهد وذمة ، ورفع راية الأمن والسلام ، ليعيش الناس في اطمئنان وسلام ، غرس في الناس أصول الفضائل ، وعلّمهم الحرية والإخاء ، والمساواة والعزة والإيثار ، وطبعهم على غرار من الخلق الكامل ، ورسم لهم نهجاً قويمًا من السير الحميد ، والاستقامة العادلة .

و بين لهم أن الناس جميعاً خلقوا أحراراً لأب واحد (آدم) وأم واحدة (حواء) ، والكل من تراب ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، فقال لهم : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَى كُفْرًا) .

وأوصاهم بأنه ليس لأحد أن يحتكم في دماء الناس وأعراضهم إلا بحق الله وفي حدود شريعته ، وليس لملك أن يذل شعباً ضعيفاً مستكيناً ، فيفتك بالنفوس الحرة البريئة ، لالشيء سوى أنها عزلاء ، عاجزة عن رد عدوان الطاغية الغشوم .

فنبئت فيهم نابتة الديمقراطية الحقة التي طبعت لهم الملوك والأقوال بطابع من التسامح والخضوع والطاعة ، والتخلى عن جبروت الملك وغل السلطان إلى رحاب العدالة والرحمة ، والنظر في مصالح الشعوب ورعاية الأمم ، والسهر على جلب الخير والطمأنينة في جميع الربوع .

هذا هو الدين الإسلامي الذي جاء به سيد البشر كافة للناس ، رحمة بالإنسانية ، وخيراً للشعوب ؛ والذي تطالعنا به الحوادث في كل يوم من أعمال الدول المتحضرة ، التي تزعم

أنها ملكت ناصية المدينة ، وتربعت على عروش الرحمة والإنسانية ، وهي من كل ذلك براء .

هذا الذى تعرضه علينا الحوادث من قتل ونهب وسلب وتدمير وتخريب يقوم دليلاً لايحتمل النقص على وحشية هذه الدول الظالمة التى لايلذها إلا سفك الدماء ، وهتك الأعراض ، وإماتة النفوس ، وشنّ الغارات فى كل مكان تشمله السكينة ، ويحوطه الأمان فأين آثار هذه المدينة التى يتشددون بها ، والرحمة التى يكذبون على الناس من ورأها وتمت شعارها ؟ وأين الديمقراطية التى يمدعون بها العالم الإسلامى ، ويدعون بأنهم اتخذوها مبدأ تسيير عليه فى سياسة الشعوب ، ورعاية الأمم الضعيفة ، وحفظ الحرية ، والمساواة بين الأفراد والجماعات ؟

هذا وأيم الله ادعاء باطل ، وكذب وبهتان ، ومصير هذه الدول إلى الزوال والانقراض والقناء تصديقاً لقوله تعالى : (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا).

٩ - مثال الاضطهاد فى نظارة المعارف

من أغرب ماجرى اليوم فى نظارة المعارف أن المستر « دانلوب » نيرون العصر فى مصر دخل على حضرة الشاب المهدب الفاضل على أفندى فكرى كاتب حكيمباشى المعارف ، فبعد أن سأله أسئلة تافهة لا تختص بوظيفته قال له : لماذا هذه الشبايب مقلدة ؟

فأجابه : لأن الهواء شديد !

فقال له بعظمته المعتادة ، ونخفخته المشهورة : « افتحها فى الحال » .

وكانت الشبايب عالية لا يبلغها الإنسان إلا بسلم ، فرد عليه هذا المصرى الذى أوقعه سوء حظه تحت رياسة هذا المستبد : « إن هذا ليس من عملى بل من عمل الفراش » .

فرأى المستر أن هذا الجواب يشفّ عن شم ورفعة نفس ، وأنه لا يليق بالاحتلال أن يستخدم فى وظائف الحكومة المصرية رجلاً ذا شم ورفعة ، فأمر برفته فى الحال .

فاقرأوا أيها المصريون وتبصروا .

ملحوظة : هذه الحادثة وقعت لى فعلاً حينما كنت موظفاً بوزارة المعارف ، ولكن لم أرفق فيها ، لأن الله المنتقم الجبار أظهر الحق على يدوزير المعارف المرحوم (غفرى باشا) . وانتقلت بعدها بأمره إلى دارالكتب الخديوية بوظيفة كاتب ثان ، وكان ذلك باب فتوح وارتقاء لى فى هذه الدار حتى وصلت إلى وظيفة الأمين الأول ، ورئيس المغيرين فى الدرجة الرابعة بها ، وبلغت ماهيتى ٥١ جنياً ، والحمد لله على ما أعطى ومنح ، ثم أحلت بعد ذلك إلى المعاش فى سبتمبر سنة ١٩٣٤ . وخرجت منها مرفوع الرأس محبوباً من رؤسائى والمرؤسين والله الحمد

وقد ذكرت هذه الحادثة للعظة والاعتبار وللتاريخ أيضاً لا للشهرة والافتخا .

١٠- الاضطهاد والحرية

الواء العدد ٤٦٥ فى ٢٤ ابريل سنة ١٩٠١

يقول الفلاسفة : « الحرية بنت الاضطهاد » يعنى أن أنوارها لا تشرق على الأمم إلا إذا لاقت من الاضطهاد ما يدفعها إلى التمسك بها ، والمطالبة بثمارها اليانعة . وقد أثبتت حوادث التاريخ أن الأمم التى نالت الحرية والاستقلال بعد الاضطهاد والظلم والاستعباد كانت أشد محافظة على الأوطان من الأمم التى نشأت فى مهد الحرية ، ودرجت فى ربوعها .

وهذا أمر طبيعى محقق فى الأفراد كما هو واقع فى الشعوب ، فترى الفرد المجتهد الذى يجمع ماله بكده وجده يحافظ عليه ويعرف مقدار نعمة الله عليه ، أكثر من يرث المال عن أبيه وأهله .

وقد أراد الله لمصر أن تتمتع بالحرية الصحيحة ، والاستقلال المنشود ، بعد أن جهلت مقام الوطن وحرمة البلاد ، فسلط عليها من المضطهدين لبنيتها من يثون فيها بالرغم عنها روح الجد والاجتهاد والنشاط ، ويدفعون بها فى سبيل المجد الباذخ ، والشرف الأتيل . أصيب رجال المعارف بمضطهد دونه كل المضطهدين ، ورئيس على مثله تعلم « نيرون » فنون الجور والاعتساف ، ولعل هذا لأنهم رجال العلم والعرفان ، وأساتذة أبناء الزمان ،

يجب أن يكون نصيبهم من مدرسى الحرية ومعلميها بطرق الاضطهاد والاستبداد أكثر من سواهم .

من كان يظن من المصريين أن فتى تعلم العلم ليعلم ، وينفع نفسه ووطنه ودينه ، وقضى زهرة الحياة ، وأعوام القوة والشباب في التحصيل ، مؤملاً بلوغ مكانة في بلاده يسعد بها ويشرف ، يعامل يوماً ما معاملة السيد للعبد ، والمخدوم للخادم ؟ بل من كان يخطر على باله أن الذى يذكر رئيسه بأنه لم يعين في وظيفته ليغلق باباً ، أو يقفل شباكاً ، يعاقب بالرفق والحرم ! لم يكن في الحسبان ما كان ، ولكن هل هذا الاضطهاد المقوت آفة كبرى على البلاد ؟

إنه إذا كان آفة على الأفراد فليس بآفة على أمة تريد الحياة العالية ، وتطلب النعم الخالد ، وتعرف أن الأمم الناهضة الحية تنتفع بكل شئ ومن كل حادث حتى من المصائب نعم لو عرفت الأمة المصرية لانتفعت من اضطهاد الانكليز أى انتفاع .

فهذه مدارسها الأهلية في أشد الحاجات للمدرسين الأكفاء ، وهذه الأقاليم والجهات لاتزال في عوز المدارس والمكاتب ، فلم لا يكون المضطهدون من رجال المعارف أساتذة في مدارس الأهالي ، ومرشدين إلى الهدى في الحركة العلمية الحديثة ؟

اضطهد أيها السكرتير الإنكليزى رجال المعارف ما استطعت ، فإنك باضطهادك تظهر للأمة ذوى الشمم منهم ، وتربي مبادئ الاستقلال الذاتى عندهم جميعاً .

اضطهدهم وبالغ في الاضطهاد ، فإنما أنت تعرفهم باضطهادك أن الأجنبي مهما كانت جنسيته لا يكون شفوفاً على أبناء البلاد ، ولا يسمى لخيرهم أبداً .

اضطهدهم وتفنن في اضطهادك لهم ، فإنما أنت الممثل للاحتلال في قوته وطغيانه . اضطهدهم ليعلم العالمون أنك ماوليت عليهم إلا لتحكم فيهم بسيف الجور والعدوان ، وتقتل في نفوس الناشئين حب الوطن ومبادئ الشرف والشمم ورفعة النفس .

اضطهدهم فإنك من حيث لاتدرى تخدم مبدأ الوطنية المقدس الذى نحن خدمته الصادقون ، وتساعدنا من حيث لاتريد على نوال الحرية المبتغاة ، والاستقلال المحبوب .

١١ - أمثلة في الظلم

١ - حكاية عن عواقب الظلم الوحشية

فيما نقل من الآثار الإسرائيلية في زمن موسى عليه السلام : أن رجلاً من ضعفاء بني إسرائيل كانت له عائلة ، وكان صياداً يصطاد السمك ، وتعبت منه أطفاله وزوجته . فخرج يوماً للصيد ، فوقع في شبكته سمكة كبيرة ، ففرح بها وأخذها ومضى إلى السوق لبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله ، فلقبه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأخذها منه ، فتمعه الصياد ، فرفع خشبة كانت في يده فضرب بها على رأس الصياد ضربةً موجعةً ، وأخذ السمكة منه غصباً بلا ثمن . فدعا الصياد عليه فقال : إلهي خلقتني ضعيفاً ، وخلقتني قوياً عنيفاً ، فخذ لي حقي منه عاجلاً فقد ظلمني ، ولا صبر لي إلى الآخرة .

ثم انطلق الغاصب بالسمكة إلى زوجته وأمرها أن تشويها ، فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها فتحت السمكة فاهها ، ونكزت أصبعه نكزةً أطارت بها قراره ، فقام وشكا إلى الطبيب ألم يده وماحلّ به ، فأراها فقال :

دواؤها أن تقطع الأصبع لثلاث يسرى إلى بقية الكف فقطع أصبعه ، فانتقل الوجع الشديد إلى اليد وزاد الألم ، وارتعدت من خوفه فرائضه ، فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد من المعصم لثلاث يسرى إلى الساعد فقطعها ، فانتقل الألم إلى الساعد ، فما زال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى الذي يليه .

فخرج هائماً على وجهه مستغيثاً إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به ، فرأى شجرةً فقصدها فأخذته النوم فنام تحتها ، فرأى في منامه قائلاً يقول له :

يامسكين إلى كم تقطع أعضائك؟ امض إلى خصمك الذي ظلمته وأرضه ، فانتبه من النوم ، وفكر في أمره فقال : ضربت الصياد وأخذت السمكة منه غصباً وظلماً ، وهي التي نكزت يدي فصاحبها خصمي .

فدخل المدينة وسأل عنه فوجده ، فوقع بين يديه ، والتبس منه الإقالة مما جناه ، ودفع إليه شيئاً من ماله ، وتاب من فعله ، فرضى عنه خصمه الصياد ، فسكن في الحال ألمه ،

وبات على فراشه تلك الليلة ، وأقلع عن خطيئته ، ونام على توبة خالصة .
ففي اليوم الثاني تداركه الله بلطفه ورحمته ، فرد يده كما كانت ، ونزل الوحي على
موسى عليه السلام :

يا موسى وعزتي وجلالي لولا أن ذلك الرجل أَرْضَى خِصْمَهُ لَعَذَّبْتَهُ مِمَّا امْتَدَّتْ بِهِ حَيَاتُهُ .
(المقد الفريد للملك السعيد)

٢ - أعظم مثل من القرآن

في بيان الظلم وسوء عاقبته

يضرب الله لنا مثلاً في القرآن الكريم في بيان الظلم وسوء عاقبته في قصة قارون ،
وهي تتلخص فيما يأتي :

قال الله عز وجل : (إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ
الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهَا لَتَنُوهُ بِالْمُضْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ،
وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ .
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ، أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ
مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ . فُخْرِجَ عَلَى قَوْمِهِ
فِي زِينَتِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ
لَذُو حِظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ مَوَاقِبُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ،
وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ . نَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ
وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ
بِنَا وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ . تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْمَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) . (القصص من ٧٦ إلى ٨٣)

المعنى — إن قارون كان من قوم موسى ، أى من أتباع موسى ، فظلمهم لما ولاء عليهم فرعون ، وقد منحه الله من الكنوز ما لو حملت مفاتيحه لثقلت على جماعة من الأقوياء إذ قال له قومه لا تفرح ، أى لا تبطر بنعمة الله عليك ؛ إن الله لا يحب الفرحين بزخارف الدنيا ، واطلب فيما أعطاك الله من الغنى ما تستحق به النجاة في الدار الآخرة ، ولا تنس أن تحصل على نصيبك من العيش في الدنيا ، لتستعين به على تكاليف الحياة ، لا كما يفعل بعض الذين يزعمون الزهد ويعيشون عالةً على غيرهم ، وأحسن إلى الخلق كما أحسن الله إليك ، ولا تطلب الفساد في الأرض ، فإنك خلقت لتسيرها إن الله لا يحب المفسدين .

قال قارون : إنما أوتيت هذا المال بعلم خصصت له . قيل : إنه كان على علم تام بالكيمياء يحول الرصاص فضةً ، والنحاس ذهباً ، فأنكر بهذا أن المال من فضل الله ، ذا كراً أنه استحقه بما عنده من العلم ، فاجترأ على تكبران إحسان الله إليه ، ولم يحسب حين اجترأه أن الله قادر على أخذه وأخذ ماله .

ولذا قال الله تعالى ما معناه : ألم يعلم هذا المغرور أن الله قد أهلك من أهل القرون الأولى من هم أشد منه قوةً وأكثر جمعاً ، والله عليم بجرائم المجرمين ، ليس في حاجة لأن يسألهم ماذا يعملون ؟ .

نخرج على قومه في زينته ، أى في موكبه وحوله حاشيته ، فتمنى الذين يطلبون الحياة الدنيا مثل ما عنده من المال ، وقال الذين أوتوا العلم لهؤلاء : ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ، ولا يوفق لهذا العمل إلا من صبر في الدنيا على الطاعة ، وعن شهوات نفسه ؛ وقد أراد الله أن يبين لهؤلاء المغترين أن النفى بيده ، وأنه سبحانه القابض الباسط القادر المقتدر ، نجس بقارون وبداره الأرض ، فما كان له أعوان ينصرونه ، وما كان هو نفسه من المنتصرين .

وأصبح الذين تمنوا أن يكونوا مثله يقولون : إن الله يبسط الرزق لمن يشاء ، ويقتر على من يشاء لحكمة يعلمها ، فلولا أن من الله علينا برحمته لخسف بنا ، فإنه لا يفلح الكافرون ، ثم يقول الله تعالى ذكره في باب الوعظ والاعتبار : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون تكبراً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين .

فمن هذه القصة القرآنية يعلم أن الظلم مرتعه وخيم ، وأن الذين يظلمون الناس ، ويتكبرون عليهم لكثرة أموالهم ، ويعملون في الأرض الفساد تكون عاقبتهم والعياذ بالله سيئة ، ويخسف الله بهم وبأموالهم وديارهم الأرض .

٣ - ظلم أحد الملوك

حكى أن بعض الملوك أغار على قرية فنهبا ، وأخذ أموال أهلها ومواشيهم ودوابهم ، وقتك فيهم بالقتل وغيره ، فخرجت عجوز من بعض الدور ، فنظرت إليه وقالت :

يا ويلك من ديان يوم الدين إذا انشقت السماء وبرز الرب لفصل القضاء ! .

فقال لها : يا عجوز أما سمعت في القرآن : (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا أُذْلًا) ؟

فقلت له : يا هذا أنسيت الآية الأخرى التي بعدها في السورة : (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا) .

فقال الملك : ردوا عليهم جميع أموالهم فردوه ، ثم قال : يا عجوز كيف الخلاص ؟ قالت : لا تنقط ، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده .

٤ - من ذاق ألم الظلم وهو صغير لا يلجأ إليه وهو كبير

كان لكسرى مؤدب نال على يديه التقدم والرفق ، فضرب كسرى ذات يوم في غير ذنب ليدوق ألم الظلم فلا يظلم وهو ملك ، فتألم كسرى وبحت عن ذنب فعله فلم يجد .

فلما تولى الملك أمر بإحضار مؤدبه فجاء ، فقال له كسرى : في يوم كذا ضربتني ولا ذنب لي . فقال : أيها الملك العادل : رأيت أنك ستكون ملكاً ذا قول نافذ ، وحكم مسموع فأردت أن أذيقك ألم الظلم وأنت صغير حتى لا تلجأ إليه وأنت كبير ، فتعيش آمناً مطمئناً فشكر له عمله ، ورفع منزلته .

٥ - الحجاج الثقفي أظلم الظالمين

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، قد جمع خلافاً قبيحةً ظاهرةً وباطنةً ، من دمامة الصورة ، وقبح المنظر ، وقساوة القلب ، وشراسة الأخلاق ، وغلظة الطبع ، وقلة الدين ، والإقدام على انتهاك حرمة الله تعالى حتى حاصر مكة المكرمة ، وهدم الكعبة ورماها بالمنجنيق ، وبالنفط والنار ، وأباح الحرم فسفك وهتك .

وقد قيل : إن في مدة ولايته قتل ألف وستائة ألف مسلم ، ومات في حبوسه (سجونه) ثمانية عشر ألف إنسان ، وكان لا يرجو عفو الله ، ولا يتوقع خيره ، وكأنه قد ضرب بينه وبين الرحمة والرأفة بسور من فظاظة وغلظة وقساوة (كما جاء ذكره في كتاب العقد الفريد للملك السعيد ص ١١٨) .

وقد وقعت منه حادثة فظيعة (لسعيد بن جبير) رحمه الله ، تدل على مبلغ جبروته وظلمه وحبه لسفك الدماء ، ويصح أن يقال عنه : إنه أظلم الظالمين ، وهي تلخص فيما يأتي :
كان سعيد بن جبير — وهو أحد أعلام التابعين — المتشيعين للإمام علي رضي الله عنه ، رجلاً صالحاً تقياً زاهداً ، يسكن في صومعة في الجبل يتعبد فيها ، وكانت الوحوش تأتي ليلاً وتحيط بصومعته لحراسته ؛ فلما علم الحجاج بأمره أرسل في طلبه بمض جنوده فقالوا له : لا يمكننا الوصول إليه لأنه في صومعة بعيدة في الجبل تحيط بها الوحوش ، ونخشى إن توجهنا إليه أن نفرسنا الوحوش ، فأغلظ عليهم في الطلب ؛ فلما ذهبوا إلى إحضاره صباحاً قال لهم سعيد : الحجاج اليوم قاتل .

فلما حضر أمامه ، قال له الحجاج : ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جبير . قال : بل أنت شقي بن كسير . قال : بلى كانت أمي أعلم باسمي منك . قال : شقيت أمك وشقيت أنت . قال : النيب يعلمه الله . قال : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى . قال : لو علمت أن ذلك بيدك لآخذتكم إلهماً . قال : فما قولك في محمد ؟ قال : نبي الرحمة وإمام الهدى .

قال : فما قولك في علي ؟ أهو في الجنة أم هو في النار ؟ قال : لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها . قال : فما قولك في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل . قال : فأبهم

أجبت إليك؟ قال : أرضاهم لخالقي . قال : فأيهم أرضى للخالق؟ قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم . قال : أحب أن تصدقنى . قال : إن لم أجيبك فلن أكذبك . قال : فما تقول فى عبد الملك بن مروان؟ قال : فمالك تسألنى عن امرى أنت واحد من ذنوبه ، قال : فما بالك لم تضحك؟ قال : وكيف يضحك مخلوق خلق من طين ، والطين تأكله النار . قال : فما بالنا نضحك؟ قال : لم تستو القلوب .

ثم أمر الحجاج بالؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه ، فقال سعيد : إن كنت جمعت هذا التتقى به فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا فقرة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير فى شئ جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا .

ثم دعا الحجاج بالعود والناي ، فلما ضرب العود ونفخ فى الناي بكى سعيد فقال : ما بيكيك ، هو اللعاب؟ قال سعيد : هو الحزن ؛ أما النفخ فذكرنى يوماً عظيماً يوم النفخ فى الصور ، وأما العود فشجرة قطعت فى غير حق . قال الحجاج : ويحك يا سعيد . قال : لاويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة . قال الحجاج : اختر قتلة أقتلك بها؟ قال : اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها يوم القيامة . قال : أفتريد أن أغضو عنك؟ قال : إن كان الغضو من الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر .

قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه . فلما خرج ضحك ، فأخبر الحجاج بذلك فرده إليه وقال : ما أضحكك؟ قال : عجبت من جراتك على الله ، وحلم الله عليك . فأمر بالنطم والسيف وقال : اقتلوه .

فقال سعيد : وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . قال : وجهوا به لغير القبلة . قال سعيد : فأينما تولوا فثم وجه الله .

قال : كبوه على وجهه . قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . قال الحجاج : اذبحوه . قال سعيد : أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبد الله ورسوله ، خذها منى حتى تلقانى بها يوم القيامة ، ثم دعا سعيد فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بمدى ؛ وكان قتله فى شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة (بواسط) . وقيل : إن الحجاج هو الذى قتله بيده ، ولما قتله لم يزل دمه يغلى حتى ملا

أثواب الحجاج ؛ فلما رأى ذلك هاله وأفرعه حتى منع عنه النوم ، ولم يعش بعد ذلك إلا مدة قليلة .

ومات الحجاج بعده في رمضان من السنة المذكورة ، ولم يسلطه الله على قتل أحد إلى أن مات . (عن معجم الأدباء لياقوت)

٦ - الملك الظالم والمرأة الضعيفة المتظلمة

حكى الياقبي : أن امرأة من بني إسرائيل كان لها دار بجوار الملك وقصره ، وكانت تشين القصر ، وكما رام الملك منها أن تبيع الدار أبت أن تبيع منه ، فخرجت المرأة في سفر فأمر الملك بهدمها ؛ فلما جاءت المرأة من السفر قالت : من هدم دارى ؟ قيل لها : الملك . فرضت طرفها إلى السماء وقالت : إلهى وسيدى ومولاي ، غبت أنا وأنت حاضر ، للضعيف معين ، والمظلوم ناصر .

ثم جلست فخرج الملك في موكبه ، فلما نظر إليها قال لها : ما تنتظرين ؟

قالت : أنتظر خراب قصرك ، فهزأ بقولها وضحك منها .

فلما جنَّ عليه الليل خسف به وبقصره ، ووجد على بعض حيطان القصر هذه الأبيات :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما يدريك ما صنع الدعاء ؟
سهام الليل لا تخطى ولكن لها أمد وللأمد انقضاء
وقد شاء الإله بما تراه فما للملك عندكم بقاء

وقيل إن سيدنا داود عليه السلام : دعا بهلاك جبار كان يظلم الناس في عصره ، فأوحى الله تعالى إليه : « يا داود إني قد قضيت عليه في سابق علمى بوقوع أمور على يديه ثم نواخذة بها يوم القيامة ، فاصبر حتى تمضى تلك الأمور » فسكت داود عن الدعاء عليه . انتهى من مصباح الظلام . (نقلاً من كتاب المنظومة الشكرية ج ٣ ص ٢٦٤)

٧ - حكاية اخرى عن شر الجور

نقلت الرواة الثقات ، والنقلة الأثبات : أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضى الله عنه قال : بعث إلى أبوجعفر المنصور وإلى ابن طاوس ، فدخلنا عليه ، وهو جالس على فرش قد نضدت له ، وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلاد وهم بأيديهم السيوف لضرب رقاب الناس .

فأومأ إلينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلاً ، ثم القفت إلى ابن طاوس فقال له : حدثني عن أبيك ، قال : نعم ! سمعت أبي يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَمَرَ كَهُ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ الْجُورَ فِي عَذَلِهِ » .

قال مالك : فضمت ثيابي مخافة أن يملأني دمه .

ثم التفت إليه أبوجعفر فقال : عظني يا ابن طاوس . قال : نعم . أما سمعت الله يقول :

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ .

وَأَمْوَدَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) إلى قوله : (لِبِأَلْمِزْصَادِ) .

قال مالك : فضمت ثيابي أيضاً مخافة أن يملأني دمه .

فأمسك المنصور ساعة ثم قال : يا ابن طاوس ، ناولني الدواة ، فأمسك ابن طاوس

ولم يناوله إياها وهي في يده ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟

قال : أخشى أن تكتب بها معصية الله فأكون شريكك فيها .

فلما سمع ذلك أبوجعفر المنصور قال : قوما عني .

قال ابن طاوس : ذلك ما كنا نبلغ .

قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاوس بعدها فضله .

٨ - نادرة أخرى في الظلم

روى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : جلس أبي للمظالم يوماً ، فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً فقال : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، تدنيني إليك فإني مظلوم ، قد أعوزني العدل والإنصاف .

قال من ظلمك ؟ قال : أنت ، ولست أصل إليك فأذكر حاجتي .

قال : وما يحجبك ، وقد ترى مجلسي مبدولاً !

قال : يحجبني عنك هيبتك ، وطول لسانك ، وفصاحتك . واطراد حجبتك .

فقال : فقيم ظلمتك ؟ قال : في ضيعتي الفلانية ، أخذها وكيلك غصباً مني بغير ثمن ، فإذا وجب عليها خراج أدبته باسمي اثلاً يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي ، فوكيلك يأخذ غلتها ، وأنا أؤدى خراجها ، وهذا لم يسمع بمثله في المظالم .

فقال له محمد : هذا قول يحتاج إلى بيّنة وشهود وأشياء .

فقال له الرجل : أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب ؟

قال : نعم قد أمنتك ، قال : البيّنة هم الشهود ، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء آخر ، فما معنى قولك : بيّنة وشهود وأشياء ، ما هي هذه الأشياء إلا العي ، والحصر ، والتعطرس ، وعدولك عن العدل .

فضحك محمد وقال : قد صدقت (والبلاء موكل بالمنطق) وإني لأرى فيك مصطنعاً ، ثم وقع له بردٌ ضيعته ، وأن يطلق له كرك^(١) حنطة ، وكرك شعير ، ومائة دينار يستعين بها على قيام ضيعته ، وصيره من أصحابه .

وكان قبل أن يتوصل إلى الإنصاف وإعادة ضيعته يقال له : يا فلان كيف الناس ؟ فيقول : بشرٍ ، بين مظلوم لا ينتصر ، وظالم لا ينصف .

فلما صار من أصحاب عبد الملك وردّ عليه ضيعته ، قال له ليلة : كيف الناس الآن ؟ قال : بخير ، قد اعتمد معهم الإنصاف ، ودفع عنهم الإجحاف ، وردت عليهم المنصوب ، وكشفت عنهم الكروب ، وأنا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب .

(١) الكركضم الكاف : مكبال لقرق ، وستة أوفار حار ، أو هوستون فيزار انتهى من القاموس .

٩ - نادرة أخرى

قيل : إن يهودياً وقف لعبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين إن (ابن هرمز) نائبك قد ظلمني ، فأنصفني منه ، وأدقني حلاوة العدل ، فلم يقض حاجته .
ثم عاد ووقف له مرة ثانية ، ثم عاد ووقف له مرة ثالثة فلم يلتفت إليه .
فقال اليهودي : يا أمير المؤمنين ، إنا نجد في التوراة المنزلة على موسى كلم الله ، أن الإمام لا يكون شريكاً في ظلم أحد ولا جوره حتى يرفع إليه ، فإذا رفع إليه ولم يغيره ، شركه في الظلم والجور .
فلما سمع عبد الملك قوله ، فزع منه وأنفذ في الحال إلى (ابن هرمز) وعزله ، وأخذ بحق اليهودي منه . (العقد الفريد)

١٠ - موعظة حسنة

خرج ملك ظالم مع وزيره لاستنشاق الهواء النقي بين الرياحين والأزهار ، فمرا بشجرة يبست أغصانها ، فسمعا صوت بوم تكلم أخرى ؛ فسأل الملك وزيره عن غرضها ؟ فقال له : أيها الملك الجليل ، إنها تطلب صداقها من زواجها وقدره أربعمائة قرية خربة .
فقال لها : إن دام حكم هذا الملك أعطيتك ثمانمائة قرية خربة .
فاتعظ الملك بهذا الكلام ، وعدل عن ظلمه ، فعمرت البلاد ، وحسنت أحوال العباد ، واستقامت الأمور .

فإن العدل أساس الملك ، وبه رقى الأمم والعمران .
والبني يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم

١١ - المعتصب الظالم

اعتصب بعض الأغنياء حقلاً وحيداً لامرأة فقيرة كان يجوار حديقة له فأدخله فيها ، وخرج هذا المعتصب ذات يوم يتنزه في حديقته ، فدخلت عليه المرأة المسكينة - وهي تحمل كيساً فارغاً - فحيتها وقالت له ، والدمع ملء عينها :
قد أتيتك يا مولاي راجية منك أن تمنحني إحساناً ، وهو أن تأذن لي بأخذ ما يعلا هذا الكيس تراباً من أرض أبي ؟ فأجابها الرجل بالإيجاب .

وبعد أن ملأت المرأة كيسها قالت له : هل يسمح لي سيدي بأن يميني على حمل هذا الكيس على ظهري ؟

فأبى بدعوى أنه لم يتعود على مثل ذلك .

فأخذت المرأة تتوسل إليه إلخافاً حتى قبل ، ولكنه مع ذلك لم يقدر أن يرضه قدر شعرة من الأرض وقال لها وهو يلهث : يستحيل أن أقدر على ذلك أيتها المرأة ؟

فقالت له بصوت يتهدج بالأسف والحزن : إن كان هذا الكيس المملوء بالتراب يظهر لك ثقيلاً إلى هذا الحد ، فكيف نستطيع أيها الظالم أن تحمل هذه الأرض التي اغتصبتها مني ، وهي تملأ ألوف أضعاف هذا الكيس ؟ وأنشدت قول الشاعر :

يأيها الظالم في فعله الظلم مردود على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى تضر المصاب وتنسى النقم ؟

كيف حالك ، يوم لا ينفعك فيه شفاعته ، ولا مال ولا بنون ، والأمر يومئذ لله ؟ في يوم يأخذ الله للمظلوم من الظالم حقه ، يوم يجازي الله الناس على قدر أعمالهم (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ، ثم أنشدت قول الشاعر :

غداً توفي النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

كيف تجيب مولاك إذا سألك بأى حق اغتصبت حقوق الفقراء ؟ وبأية شريفة أخذت أموال الناس بالباطل . أيها المغرور بنفسك ؟ العاصي أمر ربك .

فأثر هذا الكلام في قلب الرجل حتى فاضت عيناه من الدمع حزناً وأسفاً على ما فعل ، وبادر بإرجاع الحقل إلى صاحبه ، وتندم على ما فرط منه ، وتاب للخالق توبةً نصوحاً ، وتذكر قول الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرأ فالظلم آخره يأتيك بالنسدم
نامت عيونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تتم

١٢ - مثال الاستبداد

انصف أحد الملوك بالطائف بالظلم والاستبداد برعيته ، فمر بامرأة فقيرة ترضع صبياً يتيماً بلبن عزبتها ، فأخذها منها ، وكانت سنة مجذبة ، فبقي الصبي بلا مرضعة ، فمات ضحية استبداد هذا الملك .

وشكت المرأة أمرها إلى الله ، فرمى الله الملك بقارعة فأهلكته ، ورجعت العرب قبره جزاءً وفاقاً .

١٣ - الظلم يذهب البركة

قال ابن عباس : إن ملكاً من الملوك خرج يتمهد أمر مملكته متنكراً ، فنزل على رجل له بقرة حلب تحلب قدر ثلاث بقرات يومياً ، فتعجب الملك من ذلك ، وحدثته نفسه بأخذها . فلما كان الغد حلبت له النصف مما حلبت بالأمس .

فقال له الملك : ما بال حلبها ينقص ؟ أرعت في غير مرعاها بالأمس ؟

فقال : لا ، ولكن أظن أن ملكنا رآها أو وصله خبرها ، فهم بأخذها فنقص لبنها ، فإن الملك إذا ظلم أومم بالظلم ذهبت البركة .

فتاب الملك وعاهد ربه في نفسه أن لا يأخذها ، وأن لا يحسد أحداً من الرعية ، فلما كان الغد حلبت حسب عاداتها .

١٤ - متى حل الظلم بأرض زالت البركة منها

خرج كسرى أنوشروان إلى الصيد يوماً ، واعتزل عسكريه ، فعمطش فراى ضيعةً قرييةً منه ، فقصدتها حتى وقف على باب دار قوم ، وطلب منهم الماء ليشرب ، فخرجت فتاة ، فلما رآته عادت إلى البيت مسرعة ، فقصرت قصبة سكر ومزجتها بماء ، وخرجت به في قدح إليه .

فنظر القدح ، فراى فيه شراباً وقذى ، مشرب منه شيئاً فشيئاً حتى انتهى إلى آخره وارنوى ثم قال :

نعم الماء لولا ما فيه من القذى (ماستقدره النفس) فقالت له الفتاة: أنا أقيته عمداً ،
فقال لها : ولم فعلت ذلك ؟ فقالت :

لما رأيتك شديد العطش خشيت أن تشربه مرة واحدة فيضرب بك شربه . فمجب
كسرى من ذكائها وفطنتها ، ثم قال لها : كم عصرت من قصبه ؟ فقالت : عصرت فيه
قصبه واحدة ، فمجب من ذلك .

فلما مضى طلب اسم المكان ، وكان قد نسيه ، فرأى خواجه قليلاً ، فحدثه نفسه أن
يزيد خواجه .

وبعد حين مرّ بذلك المكان منفرداً ، ووقف على ذلك الباب ، وطلب الماء ليشرب
فخرجت له الصبية عينها ، ورأته فعرفته ، وعادت مسرعة تتزوج له الماء فأبطأت ، ولما
خرجت إليه قال لها : قد أبطأت ، فقالت له : نعم ، لأنى عصرت ثلاث قصبات حتى امتلأ
هذا القدر .

فقال لها : وما سبب ذلك ؟ فقالت : من تغير نية الحاكم ، فقد سمعنا أنه إذا تغيرت
نية السلطان على قوم زالت بركاتهم ، وقلت خيراتهم .
فضحك أنوشروان ، وأزال ما كان قد أضمره لهم من زيادة الخراج ، ثم تزوج بتلك
الفتاة امجبه بها من فصاحتها وذكائها

١٥ - الحجاج والأعرابي « فكاكه »

انفرد الحجاج يوماً عن عسكره ، فلقى أعرابياً فقال له : يا أبا العرب كيف الحجاج ؟
فقال : ظالم غاشم . قال : هلا شكوته إلى عبد الملك بن مروان ؟
قال : أظلم وأغشم ، عليهما لعنة الله .

فبينما هو كذلك ، إذ تلاحت به عساكره ، فعلم الأعرابي أنه الحجاج .
فقال الأعرابي : أيها الأمير السرّ الذي بيني وبينك لا تطعم عليه أحداً إلا الله .
فتبسم الحجاج وأحسن إليه وانصرف .

نكتفي بذكر هذه الأمثال ، ومن أراد المزيد فليطلع على كتابنا السميع المهدب
(الجزء الثالث) والصلاة والسلام على سيدنا محمد في المبدأ والختام .

النهي عن معاونة الظالم

قد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالابتعاد عن الإجرام ، وعن معاونة الظلمة المجرمين .
قال تعالى : (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) (القصص ١٧)
ونهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاونة الظالم ومساعدته على التماذى في ظلمه
قال : « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا أَيْدٍ حِضِّ بِيَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرَّتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ » .
(رواه الطبراني والأصبهاني)
وقال أيضاً « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا عَلَى خُصُومَةٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ » .
(رواه ابن ماجه والحاكم)

ومع الأسف نجد بعض المحامين (ممن لازمة ولا خلاق لهم) يدافع عن موكله وهو يعلم أنه ظالم ، ولا حق له في دعواه ، بل ويساعده على الباطل ، بأن يخلق له من الحجج والأسانيد ما يعزز مركزه في القضية ، ويحمله على الإتيان بشهداء الزور^(١) ، وإحضار الشهادات والضمانات المزورة الملفةقة ، ليستعين بها على خصمه في كسب دعواه ، والانتصار عليه ، فضلاً عن أن يوحى إليه وإلى الشهداء المزورين ضرراً من الضلال ما كانوا يعرفونها ، كل ذلك طمعاً في كسب المال ، ناسياً أو متناسياً قوله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ جَادَلَ فِي خُصُومَةٍ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ » .
(رواه ابن أبي الدنيا والأصفهاني)

وكثيراً ما ينتصرون بباطلهم على الحق ، فتضيع الحقوق ، ويأكلون أموال الناس بالباطل ، ويوم القيامة يقول لهم رب العزة : (هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) . (النساء ١٠٨)
مع أن الأمانة التي يحملها المحامي عن موكله في حدود الشرع الشريف ، لا تسمح له بأن يكون موكلاً في باطل يعلم أنه باطل ، ولا يجوز له أن يترافع ويدافع عن الظالم بغير وجه حق ، فإن ترافع عنه فقد شاركه في الإثم والمدوان ، وأعانه على الظلم والبهتان ،

(١) انظر كلمة صغيرة في شهادة الزور ؛ وشهداء الزور ستأتي بعد .

لأن مبرى اللص لص ، ومجرم البرىء مجرم ، ومطلق القاتل سفك سفاح ؛ وجاء فى الأمثال :
(من تستر على اللص فهو لص مثله) .

وأن المال الذى يأخذه منه فهو حرام ، لا يجوز له بحال من الأحوال أن يتناوله ،
ولا أن يطعم منه أولاده ، فإن طعم هذا المكسب وأطعمه إياهم ، فكأنه أعطى لهم سمًا
فيأكلون فى بطونهم ناراً ، ويكون عليه الوزر والعذاب فى الدار الآخرة ، لأن المكسب
الذى يناله المحامى من التوكيل فى قضايا يعلم أن أصحابها هم الظالمون مكسب حرام ولاشك ،
لا يجوز أن يأخذه ، وهو ومال الرشوة سواء بسواء ، كل منهما مال سحت حرام مهلك .

وأما ما يكسبه المحامى الشريف النزيه من قضايا شريفة ، يعلم أن صاحبها مظلوم حقيقةً
فكسب حلال لاشبهة فيه ، يأكل منه ويطعم أولاده حلالاً طيباً ، فيزيدهم صحة وعافية ،
واستقامةً ، ونجاحاً فى مستقبلهم ، لأن الغذاء الطيب الحلال ولو كان من خبز السمير
الجاف يشرف فى صحة آكله ، ويزيده قوةً وعافيةً واستقامةً ، بخلاف الغذاء الخبيث الحرام ،
مهما كان من أشهى الأطعمة وألذ المأكول لا يشرف فى جوف آكله ، بل يسبب له
الأمراض والعلل ، ويولد عنده سوء الأخلاق الذى يؤدى إلى الهلاك (والعياذ بالله) .

فالخذر الخذر أيها المحامون من أن تقبلوا توكيلاً عن الظالم مهما أعطاكم من المال ،
أو تزلف إليكم بمسول الأقوال .

والخذر كل الخذر من أن تستغلوا ظروف المظلوم وضعفه ، وعدم قدرته ، وترهقوه
بطلب أتعاب باهظة ، واذكروا دائماً أن عليكم واجباً (وهو نصرة الحق على الباطل ،
والأخذ بيد المظلوم ، والضرب على أيدى الظالم) .

ومتى شتمت معاونة الظالم فيكون ذلك بنهيه عن ارتكاب الظلم ، كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ
مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدِهِ » .

فبذلك تنصرون العدالة ، وتساعدون على إيصال الحقوق لأصحابها ، ويكون لكم
عند الله الجزاء الأوفى .

شهادة الزور

تقاب الحق باطلاً ، والباطل حقاً

الجريمة العظمى ، والكبيرة المنكرة هي شهادة الزور ، وقول الزور ، التي فشت في هذا الزمان ، وصارت صنعة ووظيفة الكثير من الناس ، يتكسبون منها مالاً حراماً ، وسحتاً مهاناً ، ويأخذون أجراً على قلب الحق باطلاً ، وتصوير الباطل حقاً ، واتهام البريء ، وتبرئة المسيء ، وطمس الحقائق ، وتغيير الوقائع ، أولئك جند إبليس ، وأعوان الشيطان ، ومن أدنياء الخلق ، وأبغضهم إلى الخالق ، حيث خالفوا أمره ، وأضروا عباده ، وهو تعالى يقول : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) .

وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا كُتِبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) .

كثرت المحاكم وتعددت ، وزادت الحوادث وتنوعت ، وعظمت المطامع ، وخربت الذمم ، وضعف صوت الدين في القلوب ، فباع السفهاء ألسنتهم ، ولم يعلموا أنهم بذلك قد باعوا دينهم ، لأن شهادة الزور تساوى الشرك بالله ، وتعادل في الإثم عبادة الأوثان .

قال صلى الله عليه وسلم : « عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكَ بِاللَّهِ » .

ثم قرأ قوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) .

يقف شاهد الزور أمام قاض يتلو شهادة كاذبة ، حفظها عن ظهر قلب وجزاء دراهم معدودة ، وفي سبيل قروش محدودة ، يخرب البيوت العامة بشهادته ، ويسجن هذا ، ويظلم ذاك ، وينسى أنه سيقف بمجلس القضاء الإلهي ، أمام الخالق جل وعلا ، وهو أحكم الحاكمين ، ولا يعلم أنه بشهادة الزور قد بنى لنفسه بيتاً في النار ، فقد قال صلى الله عليه وسلم :

« لَنْ يَزُولَ قَدَمُ شَاهِدِ الزُّورِ حَتَّى يُوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ » .

وقد وصف الله عباده بأنهم لا يشهدون الزور فقال :

(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) .

وأمر بالعدل والقسط حتى في حال السكره والبغض ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا
اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) .

وليست شهادة الزور قاصرة على المحاكم ، فمن شهادة الزور أن تصف مسلماً بخير حقيقته
لتنفر منه الناس ، وتخط من قدره .

ومن شهادة الزور أن تسأل عن زميل لك فترفعه إلى السماء وأنت راض عنه ،
أو تخفضه إلى الأرض وأنت ساخط عليه .

ومن شهادة الزور أن يسألك شاب عن عائلة تعرفها ليتزوج منها ، فتشوه له الحقيقة ،
وتفشه وتخدعه .

ومن شهادة الزور أن تنتقص عمل المحلصين ، وتمدح الخاملين والعاجزين ، وكل قول
تخالف فيه الحقيقة ، فهو من شهادة الزور .

فاتقوا الله ووزنوا أقوالكم قبل صدورها ، وقبل أن تحسب عليكم ، ولا تكتموا شهادة
الحق ، فقد قال تعالى : (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آيِمٌ قَلْبُهُ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً دُعِيَ إِلَيْهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَ زُورًا »

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ؟ قَالُوا بَلَىٰ يَا رَسُولَ

اللَّهِ ، قَالَ : الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ، وَعَمُوقُ الْوَالِدِينَ ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَكَانَ

مُتَكِنًا بَجَلَسٍ فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّىٰ قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ » .

من خطبة من كتاب الوعظ

امفضيلة الأستاذ الشيخ محمود على أحمد

مختصر قصيدة في الظلم

لحضرة صاحب السعادة السيد شكرى باشا

الظلم حرّمه الإله بشرعته
لم يرضه وصفاً له سبحانه
أسمائه الحسنی نقت أضدادها
فهو الرؤوف بخلقه والعدل في
ما كان ربك للعبيد بظالم
فجزاؤهم منه العقاب وإنه
والظلم من شيم النفوس سوى التي
كالأنبياء والصالحين أولى النهي
والظلم منشؤه القساوة والهوى
ظلم الفتى يوم القيامة ظلمة
إذ لا نصر لظالم حين الجزاء
والظلم والظلمات أعداء لمن
كالنفس والشيطان من يتبعهما
والظلم يوجب فتنه فتجنبوا
إذ ربما عمت مصيبته كما
يأبىها الناس اتقوا الله الذي
واخشوا عسير حسابيه لا تغلموا
للظالمين النار مثوام كما
فالله ليس بغافل عن ظلمهم
في عاجل أو آجل كمراده

ونهى العباد عن ارتكاب جريمته
وهو القوى بقهره وبعزته
وحوت صفات جماله وجلالته
أحكامه وهو العزيز بحكمته
لكنهم ظلموا بهجر إطاعته
رب غفور للعتيب بتوبته
عصم الإله بفضلته وبمنته
والمؤمنين العاملين بشرعته
واللهو عن ذكر الإله وخشيته
لا يستطيع خروجه من ظلمته
من قهر مولانا وشدة بطشته
يقضى بنور الله بين خليقته
ضل الهوى حقاً وباء بخيبتته
ظلم العباد تفادياً من ظلمته
قال الإله لنا بمحكم آيته^(١)
أتم إليه سترجعون بقدرته
وتمسكوا بالعدل حسب شريعته
للعادلين خلودهم في جنته
لكن يؤخرهم لوقت عقوبته
فهو القدير وكلنا في قبضته

(١) قال تعالى : (واهموا فتنه لانصين الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب) .
(الأخلاق)

والظلم مرتعه وخسيم لامرى
يوم عبوس كربه عمّ الورى
وإذا الظلوم رأى شدائد كربه
والكل مشغول بحالة نفسه
لا والد يجزى ولا مولوده
إلا الذين بر بهم قد آمنوا
فالأصل تنفعه الفروع الأتقيا
فاقرأ كتاب الله واعلم ما به
يملى الله لظالم ويمده
حتى إذا حلّ العقاب فأخذه
لا يهمل المولى عقوبة ظالم
في هذه الدنيا ويوم قيامته
لم ينج منه سوى القليل بطاعته
عضّ الأنامل نادماً مع حسرته
في دهشته من هوله وفضاعته
عن بعضهم شيئاً كما في آيته (١)
فأصولهم وفروعهم في جنّته
والفرع يلحق أصله بديانته
وافطن لقول المصطفى والحكمته
لزيادة في إيمه وغوايته
أخذ ألم زائد في شدته
لكن يهمل لوقت عقوبته
(المنظومة الشكرية الجزء الثالث)

وقال في قصيدة أخرى تحذيراً للظالم

يا ظالماً للناس عمداً فارتقب
لا تحسبن الله عنك بغافل (٢)
هو عالم بالمتعدين وإنما
يملى لك المولى إلى يوم الجزا
فارجع لربك نادماً ومؤدياً
عدم الوفاء بحق ربك والورى
وبذلك تنجو من ألم عقابه
من يتقى غضب الإله فقد نجا
فعله يرضى ويفر ما مضى
نعم الإله لظالم في أمته
مهلاً سيأتيك الحساب بدقته
أجل مسمى عنده لعقوبته
يوم عبوس للمصاة بظلمته
حق العباد كما أمرت بشرعته
ظلم فأوف الحق قبل إضاعته
وتفوز بالحسنى وخير عطيته
يا صاح تب ثم استقم في خدمته
فهو الفقور لصادق في توبته

(المنظومة الشكرية ، الجزء الثالث)

(١) هي قوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً) .

قصيدة

في النهى عن إغاثة الظالم ، وكيف يكون نصر المظلوم
(لخصرة صاحب السعادة السيد شكرى باشا)

لا تركنوا للظالمين تسمك
وتعاونوا دوماً على نصح الذى
منعاً لظلم قد يجر بشرته
من ينصر المظلوم فى الدنيا يرى
لا خير فى قوم أضاعوا بينهم
ودعاء مظلوم مجاب لا مرا
والظالمون عقابهم إن لم يكن
من عاون الظلام كان منافقاً
لا ترج خيراً من معاون ظالم
أين المروءة والأمانة فى امرئ
وتراه خداعاً يميل مع الهوى
ويقول أيضاً غير ما هو فاعل
حلو اللسان وصدرة لك علقم
يسعى لخدل الحق ناصر باطل
خان الأمانة والعهود ولم يخف
إن الخيانة والنفاق كلاهما
أيظن أن الحق يطفأ نوره ؟
من لم يكن حرّ الضمير فلا يرى
وبهذه الأوصاف يبلى خان
يأبىها الرجل المعين لظالم

نار اللظى معهم بحكم عدالته
هو ظالم مهما يكن من سلطته
سوء العواقب فاحذروا من آفته
نصر الإله بها ويوم قيامته
حقاً لمظلوم ولو لمداوته
مهما يكن من حاله وعقيدته
حالاً يكن يوم الجزاء وكرفته
وأشد ظمناً منهمو فى أمته
فهو المضيع للحقوق بخطته
دوماً يرى متلوناً فى هيئته
حسب الظروف بطبعه وغوايته
متبجحاً من خبثه ولآمته
ويروغ منك كثعلب فى روعته
بئس النصير لباطل بخيائته
غضب الإله وطرده من رحمته
وصف لمن هو مارق من ملته
كلا ويدفع باطلاً مع ظلمته
تمسكاً بالصدق بين عشيرته
للعهد والميثاق بل وأمانته
أبشر بخزى عاجل ومهانتته

فضلاً عن النار التي تكوى بها مع من أعنت لدى الجزاء وكرهته
نصر الظلوم بنهيه عن ظلمه لا بالركون له ولا بإعانتته^(١)
يا صاحب الحق اصطبر ثم ارتقب نصراً من المولى كوعد جلالته
هو ناصر المظلوم خاذل ظالم فعليه كن متوكلاً مع طاعته
هو قائم بالتوسط بين عباده هو ربنا كل الأمور بقبضته
فيرد حقتك كاملاً ولربما أعطاك خيراً زائداً من مننته
فاصبر كصبر المهتمدين أولى النهى فالأجر مضمون كما في آيته

(المنظومة الشكرية ، الجزء الثالث)

التحذير من أكل مال اليتيم ظلماً

خطبة منبرية لفضيلة الأستاذ محمد مرسى طنطاوى
المدرس بمعهد الزقازيق

الحمد لله الذى حذر من أكل مال اليتيم ، وأوعد الذين استباحوا أكل ماله بإصلاهم
عذاب الجحيم ، سبحانه له الأمر والنهى وإليه رجوعنا أجمعين .
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الذى جعل أكل مال
اليتيم من الموبقات .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه الذين عاونوه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل
معه ، أولئك هم المفلحون . قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :
(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) .

اليتيم فى العرف الصغير الذى فقد أباه ، هو الذى حرمه الدهر من أن يحظى بعطف
أبيه وتحنانه ، حرمه الدهر من أن يتروّض فى بستان تلك الرحمة الأبوية ، ذلك البستان

(١) يشير بهذا إلى حديث : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » .

الذى فيه من كل فاكهة من فواكه الحياة زوجان ، وفيه من أصناف الخير ، تلك الخيرات الحسان .

نعم حرمة الدهر من كل هذا ، وأصبح وحيداً محتاجاً إلى من يساعده ، ويقوم بشئون حياته ، محتاجاً إلى من ينسيه بحنانه فقدان أبيه ، ويجعله يشعر بالطمأنينة ، يشعر بأن أباه لازال على مدى الدهر حياً .

لهذا جعل الله لليتامى أوصياء ، هم بمثابة آبائهم فى القيام بشؤونهم ، والمحافظة على أموالهم ، وجعل لكل وصى حدوداً لا يتعداها ، وحذره كل التحذير من أن تمتد يده إلى مال اليتيم فيأخذه بغير حق ، وصوّر له أكل مال اليتيم بأكل النار فى البطون ، وتصوروا كيف تفعل النار فى البطون ؟ إنها لتذيب الأمعاء ، وتقرى الأكباد ، وتلتهم القلوب ، ولا يكون بعد ذلك إلا الموت (والعياذ بالله) .

هذا نستطيع أن نتصوره فى النار الحسّية ، أما النار المعنوية ، وهى موضوعنا الذى نتكلم فيه ، فإنها لا تفترق عن النار الحسّية فى شىء ، إذ هى تلتهم مافى القلوب من غرائز الشفقة والحنان ، تلتهم ما هو كامن فى القلوب من الخوف من الله ، والحذر من عذابه .

بل تلتهم ما هو مطبوع على صفحات القلوب من العقيدة الحقّة ، والإيمان الصحيح ، تلتهم كل هذا ، فيصبح الإنسان هيكلاً جسيماً فحسب ، ليس له من الإنسانية إلا صورتها وما ذلك إلا الموت ، بل لا موت فى الحقيقة إلا هذا ، إذ هو الحسران المبين ديناً ودنيا .

أيها الأوصياء : إن رأيتم أن اليتيم صغير لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، لا يستطيع أن يأخذ حقه منكم لضعفه ، فثقوا بأن له ربّاً قوياً سيأخذ حقه منكم ، ويحاسبكم على ذلك حساباً عسيراً .

إن رأيتم أن اليتيم غفل عن حقه ، فثقوا بأن له ربّاً لا تأخذه سنة ولا نوم .

أيها الأوصياء : أنظنّون (وبعض الظنّ إثم) أن تسديد الكشوف مزورة ، وتقديمها إلى الجهات المختصة لتكونوا أبرياء بحملكم عند الله أبرياء ؟

كلا والله ، إن الجهات المختصة عاملتكم بمقتضى اللوائح والقوانين ، ولكن ربكم سيعاملكم بمقتضى علمه القديم ، فإن كنتم أبرياء نجوتم ، وإلا حلتّ عليكم غضبة الحق ، فشرّبتم كأس الجزاء مريرة ، وأذاقكم الله بعد ذلك عذاب الهون .

إخواني : أتكلم في هذا الموضوع الخطير ، وأحسُّ برجفة في قلبي ، واضطراب في جسدي ، لأنني أتصور الآن ذلك اليتيم الصغير ، وهو بين برائن ذلك الجبار العاتي الذي يلعب به كما يلعب الوحش الكاسر بفريسته .

فلا اليتيم قادر على أن يتخلص من ذلك الجبار ، ولا هو قادر على أن يتمتع بما خلفه له أبوه من الحقوق ، ويستمر على هذا الحال يعاني ألم الظلم ، حتى يقيض الله له من يأخذ بيده ، ويكون له نصيراً .

ويزيدني أماً أن بعض الذين تحجرت عقولهم ، وطمست قلوبهم عن رؤية الحق ، يتهمون الدين الإسلامي بأن تشريعه في هذه الناحية غير صالح لكل زمان ومكان ، ويطلبون إلى أولى الأمر أن يسنوا قوانين تحفظ للناس حقوقهم .

كلام يدل على سخافة عقولهم ، إذ لو عقلوا تماماً ، لوجدوا أن التشريع الإسلامي تشريع كامل ، وهو صالح لكل زمان ومكان .

قال تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) .

وما الاختلال الحاصل إلا من عدم الرقابة على أولئك الأوصياء ، ونظار الأوقاف الظلمة الذين يستبيحون كل شيء في سبيل الحصول على المال الكثير . ولو كانت الرقابة عليهم كما يجب لسارت الأمور في مجراها الطبيعي ، ولكانت الحقوق محفوظة لانصباب بسوء .

أيها الأوصياء ، ويا نظار الأوقاف ، اتقوا الله ، اتقوا الله ، اتقوا الله .
(وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

قال صلى الله عليه وسلم : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، قَالُوا : وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الشِّرْكَ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّىٰ يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ »

(رواه البخاري)

مجلة الإسلام العدد ٣٩ من السنة الرابعة

مقارنة محسوسة بين الوصي الظالم والوصي العادل النزيه

الوصاية والأوصياء

شرع الله جل شأنه الحجر على السفهاء والمعتوهين ، وإقامة الأوصياء والقوام على القصر عديمي الأهلية رحمة لهم ، وحفظاً لأموالهم من الضياع والتبديد ، وهذه هي المجالس الحسبية .

والحكمة في إقامة الوصي أن الرجل إذا توفي ، وترك ثروة ومالاً لورثته ، وكان بينهم الصغير القاصر الذي لا يحسن التصرف طمع فيه غيره ، خصوصاً أقرب الناس إليه من أهله ، كأعمامه الذين يظهرون العطف والحنان على القاصر ، وهم في الحقيقة اصوص يريدون اغتيال أمواله وأكلها بالباطل ، ويقضون عليه قضاءً مبرماً .

فكان من الحكمة شرعاً أن يكون للقاصر وصي أمين ، شفيق قلبه ، ملؤه الرحمة والحنان ، مشهود له بالتقوى والاستقامة والعفة ، ونزاهة النفس .

وعلى الجملة يكون قائماً مقام أبيه في كل الوجوه ، ويمثله تمثيلاً تاماً لو كان حياً .
وقد حث الله تعالى على حسن معاملة اليتيم فقال : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) .
ومع الأسف نرى كثيراً من الأوصياء لا يهتم بشئون القصر ، بل يعمل على أكل أموالهم بالباطل ، وتبديدها في شهواته وملذاته .

ودليلنا على ذلك ما نراه يومياً في المحاكم الأهلية والشرعية من القضايا المرفوعة ضد الأوصياء بمطالبتهم بحقوق القصر التي تكون قد ظهرت في ذمتهم عند مراجعة حساباتهم بمعرفة خبراء المجالس الحسبية .

وفي الغالب يكون الحكم فيها ضدهم ، إما بعقوبة السجن متى قامت الأدلة على تبديدهم وإما إلزامهم مدنياً بدفع ما أخذوه من أموالهم ؛ وربما يفلتون من القضاء بتفليق الحسابات التي يقدمونها للمجالس الحسبية والمحاكم ، فتضيع بذلك هذه الحقوق على القصر اليتامى ، ولكنهم لا يفلتون من عقاب أكبر الحاكمين يوم الدين .

فالأوصياء الذين لم يؤدوا وظيفتهم بالأمانة ويأكلون أموال اليتامى ظلماً وعدواناً فإنهم يأكلون في بطونهم النار في الدنيا ، وفي الآخرة يكونون مع الفجار عملاً بقوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا) .

أما الأوصياء الذين يقومون بوظيفتهم حق القيام ، ويراعون الذمة والأمانة والشرف
فهم أرفع منزلة في الدنيا ، ولهم عند الله يوم القيامة أجر كبير ، وثواب عظيم ، وقد بشرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فقال : « أَنَا وَكَفِيلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا » .
(وأشار بالسبابة والتي تليها) .

وأمامنا الآن مثل محسوس يدلنا على نزاهة بعض الأوصياء ، وحسن معاملتهم للأيتام
الفقراء (وقليل مالم) نضربه للناس ليكون فيه القدوة الحسنة ، والعظة المستحسنة .

« أقام مجلس حسبي مصر في سنة ١٩٢٨ حضرة الأستاذ السيد على فكرى الأمين
الأول ورئيس المغيرين لدار الكتب المصرية سابقاً ، وصياً على أولاد ابنته القصر ، بعد
أن عزل عمهم من الوصاية لسوء تصرفه ، ورفعت دعوى ضده وعدة قضايا للحصول على
حقوقهم ، وكانت جميعها في صالح القصر ، حتى بلغ ما لهم طرفه ماينوف عن الألف جنيه ،
ولكن مع الأسف لم يمكن الحصول على شيء منها لهروبه من دفع الحق وإفلاسه .

أما الأستاذ السيد على فكرى فقام بواجب الوصاية ، وتقدم للمجلس الحسبي بحسابه
عن المدة من سنة ١٩٢٨ لغاية سنة ١٩٣٦ ؛ وبعد فحصه بمعرفة مكتب الخبراء الحسينيين ، قرر
المجلس بجلسته ١٤ مارس سنة ١٩٣٨ اعتماد الحساب وقدره ٩٢٨ جنيهاً ، وقبول تبرعه للقصر
بجميع هذا المبلغ ، وتقديم شكر المجلس على ما أبداه حضرته من الهمة والنشاط والمروءة
والوفاء للقصر أحفاده ، وقد صدقت وزارة الحفانية على هذا القرار .

فبلسان الحق والعدل نشكر حضرته على هذا العمل الخيري الذي قام به ، ولم يسبقه
فيه غيره ، ونسجله على صفحات جريدتنا للمدح والثناء عليه ، لأنه هو في غنى عن ذلك
وبعيد عن حب الفخر والتظاهر ، وإنما نذكره على سبيل العظة والذكرى والاعتبار .

(وَ لِيُثَلِّ بِهَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) فالسعيد من راقب في اليتامى من يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور ، وجعل نصب عينيه قول عالم السر والنجوى .

(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حَاسِبِينَ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله في الضعيفين : المرأة الأرملة والصبي اليتيم » .

فيا أيها الأوصياء اتقوا الله في الأيتام ، وراعوا حقوقهم ، واهتموا بمصالحهم اهتمامكم بمصالح أولادكم ، وانظروا الفرق العظيم بين الوصي الخائن والوصي الأمين ، وتذكروا دائماً قول الله تعالى : (وَلَيَخْشَنَّ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) .

واعملوا بما يكسبكم حسن الذكرى في الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

ملحوظة — سبق ذكر هذا الموضوع باختصار في ص ١١٧

(حسن قاسم مدير مجلة هدى الإسلام)

وقال الأستاذ محمود محمد عمار الشاعر المشهور (بشاعر الرعاع) قصيدة في الحث على

حسن معاملة اليتامى ، نقتطف منها ما يأتى :

الله قد كفل اليتيم : محمداً	وسقاه دين الله في القرآن
واختار جبريل الأمين معلماً	وحباه بالمعراج عزة شان
وكساه أعطاف النبوة بردة	عزت على (كسرى أنوشروان)
ثم اصطفى هذا اليتيم رسوله	فسمي اليتيم على ذوى التيجان
وأذاع بين الناس وحدانية	الله ، لالعباداة الأوثان
وبنى على الدين الحنيف رسالة	بانت منار العز والسلطان

نفحة اليتيم

يامعشر الإسلام ، هذى نفحة	طلع اليتيم بها على الأكوان
لولاه بات العقل في ظلماته	في الشرك ، في الإلحاد ، في الكفران
اقرأ عليه : (ألم يجدك ميتاً)	واشرح : (فأوى) : إنها الأبوان
أوإنها اللطف الخفى ، وإنها	عند المصيبة : رحمة الرحمن

كافل اليتيم

جاه اليتيم سما ، فقال « محمد » وكلامه معنى من الفرقان
« في الخلد من كفل اليتيم بصحبتى » ماوى اليتامى : جنة الرضوان

الزوج الظالم والزوجة المظلومة

خطبة لفضيلة واعظ الأستاذ محمد سليمان أستاذ الوعظ بمديرية جرجا

الحمد لله الواحد القهار ، الحمد لله العزيز الجبار ، سبحانه يمهل ولا يهمل ، وينتقم من
الظلمة الأشرار ، ولا يضيع حق المظلوم ، وإن طالت الأيام والسنين .

أستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا هو ، جعل للزوجة حقاً على زوجها ، وأوجب للابن حقاً
على أبيه ؛ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أعظم التكبير على من أخل بهذا الواجب
وقصر فيه .

اللهم صل وسلم على هذا النبي ، رافع لواء الحق ومعليه ، وارضى اللهم عن آله
وصحابه والتابعين .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ،
فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّمَةِ ، وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً)
عباد الله — تفهموا ماتلى عليكم من كتاب ربكم ، وطبقوه على ماتعلمون من أحوالكم ،
واحذروا أن تكونوا ممن ندد الله فى هذه الآية بهم ، واعلموا أن غضب الله منصب ،
ولا بد على رؤوس المعرضين .

فى المسلمين أقوام ركنت إلى الظلم نفوسهم ، وختت من الرحمة والعطف قلوبهم ،
واتخذوا الشهوة البهيمية إلهاً لهم ، يفضلونها على كل شىء ، ولا يباليون أن يتخطوا فى سبيلها
حدود الدين .

يتزوج أحدهم بالحرّة الكريمة من النساء ، ثم يقضى معها من الشهور والسنين ماشاء ؛

وقد تكون حياته معها حافلة بالسعادة والهناء ، حتى إذا ما أشبع شهوته منها هجرها ، وبحث بين النساء عن غيرها ، وتركها بعد زواجه الثاني تندب حظها ، وتقضى أيامها بين البكاء والحسرة والأنين .

يهجرها بلا ذنب ، وقد بذلت وسعها في خدمته ، وأتعبت نفسها في سبيل توفير راحته ، وأفنت شبابها ، وربما مالها في سبيل إرضاء نهمته ، وحفظت عليه ماله وعرضه ، وأعفت عن الحرام عينه وفرجه ، ولكنه نسى كل هذا لما ذبلت زهرة جمالها ، أو وقعت عينه على أحسن منها ، وجحد مالها عليه من الحق الثابت المتين .

يهجرها ، وإن كان له منها أولاد أهملهم وطرحهم ، وبخل عليهم بالنفقات ، وتهرب بكل وسيلة منهم ، وإن ألحوا عليه بالمطالبة آذام ، وأخس في إيدائهم ، وأراهم من جبروته وعتوه ماتشعر من هول حكايته جلود المستمعين ، وتنفطر لرؤيته قلوب الناظرين .

فيا الله ! ما أصلب هذا القلب المتحجر ، وما أبعد عن الشفقة والحنان !
وما أأم هذه الخصال الدينئة ، وما أخط هذا الإنسان ، وما أخزى هذا المفتون غداً بين يدي الله الديان ، وما أشد غفلته عن اليوم الذي ينتصف الله فيه من الظلمة للمظلومين !
ألا قولوا لهذا الظالم المتجبر ؛ بل نهوا هذا الجاهل الأحمق المتكبر ؛ بل أيقظوا هذا القلب القاسى المتحجر ؛ بل أنذروا هذا المغرور بحلم الله عليه وعلى أمثاله الظالمين ! أنذروه وقولوا له : إن للضعيف رباً يغار عليه ، وإن في القيامة حكماً عدلاً ترجع الأمور إليه ، وإن من فاته حقه في الدنيا أدركه كاملاً بين يديه ، فاستمر على ما أنت عليه ، واسوف تعض بنان الندم إذا ما حشرت في صفوف المجرمين .

أتستهين يا مغرور بالآلام هذه المسكينة الملازمة في الليل والنهار؟
أتستهين بدعائها عليك في الأسحار ؟ أتستهين بإضاعتك لهؤلاء الأطفال الصغار ؟
وربك لا بد وأن يجعل الله لك بعض العقوبة في الدنيا قبل يوم الدين .
اتق الله وأنصف هذه المسكينة وأولادها من نفسك ، ووزع بين زوجتك أو زوجاتك جميع وقتك ، وساو بينهم في نفقاتك ومودتك ، ولا تفضل إحداهن على الأخرى في شيء فقد علمت أن وراء ذلك الإثم المبين ، والعذاب المهين .

اتق الله واحرص على هذه النصيحة ، وإياك والتفريط والإهمال ، واسع لتطبيب خاطر الزوجة المظلومة ، نتغفر لك ماضى من الإساءة والإذلال ، ولا نحملنك على التماذى فى الظلم فوارق الحسن والجمال ، فإن مآل هذه كلها للفناء والاضمحلال ، والعاقبة بمد ذلك فى الآخرة للمتقين .

وإن غلبتك نفسك الشهوانية ، وعجزت عن العدل ، ففارق بالمعروف والإحسان ، وأوفها حقها الباقى على حسب الاتفاق الذى قد كان ، وأوف لأولادك منها حقهم بلا إجحاف ، وسر معهم فى حياتهم بروح العدل والإنصاف ، ولا تفضل عليهم إختهم من الأخرى ، فإن ذلك يستوجب المقت من رب العالمين .

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يَمْدُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُوا » .

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَمْدَنْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقَّةُ سَاتِطٌ » .
(مجلة الإسلام العدد ٢٧ من السنة الثانية)

مظالم الأزواج للزوجات

قصة واقعية ، ومأساة دينية

إن مظالم الأزواج للزوجات كثيرة ومتعددة ومنتشرة بين العائلات ولا يخلو منها بيت ، ومن يطلع على سجلات المحاكم الشرعية ويحضر جلساتها يجد أن معظم القضايا التى تقدمت لها وقعت بين الأزواج والزوجات ، إما بطلب نفقة شرعية ، وإما بطلب الطلاق للضرر . وهذا كله نتيجة سوء الأخلاق ، وسوء المعاملة ، وعدم الاتحاد ، وعدم الوفاق .

وإليك قصة غريبة فى بابها ، بل هى مأساة فى موضوعها وهى :

إن إحدى الفتيات تزوجت من أحد الحاميين (من أقارب والدتها) وكانت تظن فيه خيراً ، فبعد أن دخل بها ، وأقام معها نحو الشهرين تقریباً دب الخلاف بينهما ، وخرجت

الزوجة غاضبةً إلى منزل والدتها ، ناديةً سوء حظها ، باكيةً شاكيةً سوء معاملة زوجها لها ، وسوء معاملة والدته أيضاً ، كما هو الحال في معظم العائلات .

وقد اتخذت المساعي الودية للصالح بينهما عدة مرات ، فلم يكتب الله لها النجاح . وأخيراً اضطرت الزوجة لرفع أمرها للقضاء للفصل في أمرها ، وطلبت أولاً النفقة الشرعية التي تستحقها عنده من تاريخ هجرها إلى يوم رفع الدعوى ، وقد حكمت لها المحكمة بتبلغ خمسة جنيهات شهرياً ، وأعلن الزوج بالحكم فلم يهتم به ولم يستأنفه ، ولم يدفع لها قرشاً واحداً حتى تجمد لها عنده مبلغ ١٨٠ جنيهاً عن الثلاث سنوات التي هجرها فيها .

ثم رفعت قضية التطلاق للضرر ، وقضية الحبس للدفع تنفيذاً لحكم النفقة ، فما كان من هذا المحامي اللئيم الخبيث إلا أنه استعمل دهاءه ومكره وخبثه ، وأخذ أخته التي هي أكثر دهاء ومكراً وخبثاً منه ، وتوجها معاً إلى المحل القيمة به ، وتكلمتا معها كلاماً ليناً معسولاً ، وانفقتا مع صاحبة المحل على أن يدفع لها مبلغاً من المال لإغرائها على إخراجها منه نظير إقامتها عندها حتى تتمكن بهذه الحيلة الشيطانية الخبيثة من إخراجها وأخذها وإقامتها مع أخته لأنه متزوج من أخرى وله منها ثلاث أولاد ومقيم معها بمسكن آخر ، ولما كانت البنت ضعيفة الإرادة وضعيفة العقل ، فقد سلبها عقلها واستكثمتها إقراراً بأنها تصالحت معه ، وتنازلات عن حقوقها الشرعية التي حكم لها بها وقدمه المحكمة ، وبذلك سلبها حقوقها ، وأضاع على أهلها أتعابهم ومصاريفهم التي صرفوها في القضايا المذكورة ، وأفلت من حكم القضاء ، كل ذلك لاحقاً فيها ، بل مكيدةً لها ولأهلها ، ونكايةً بهم ، وللتفريق بينها وبين أهلها ، ووقوع الشقاق بينهم وبينها .

هذه هي قصة هذا المحامي الذي تربى وتعلم ، ونال شهادة الحقوق ، لا للدفاع عن حقوق الناس الضعاف المظلومين ، بل لسلب حقوقهم وأكلها بالباطل ، ومثله في هذه الحالة مثل النصابين المحتالين ، فإن كان حضرته يفرح ويفخر بهذا العمل الإجرامى فليفرح قليلاً وليبكي (إن شاء الله) كثيراً فيما بعد ، فسوف يقف بين يدي أحكم الحاكمين المنتقم الجبار ، في يوم يتعلق فيه المظلوم بالظالم ويلقى جزاءه ، ويحاسب حساباً عسيراً ، على هضم حقوق هذه الزوجة المسكينة المظلومة ، التي استسلمت له أخيراً ، وسلمت أمرها إلى الله ، فنعم المولى ونعم النصير ، وبئس للظالمين بدلاً .

وهل ترضى نقابة المحامين بأن يكون من بين أعضائها مثل هذا المحامي الظالم ، الخبيث النية ، السيء الطوية ، المشيع بروح الإجرام ، الذي ارتكب هذا العمل الشنيع ، الذي لا يصح صدره من رجل مسلم شريف نزيه ، يخاف الله رب العالمين ويتقى غضبه وسخطه قال تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) إلى آخر الآية .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وكفى بالله حسيباً ، وكفى بالله وكيلاً .

على فكرى

١١ سبتمبر سنة ١٩٤٨

ظلم الآباء للأبناء

خطبة تفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد سليمان واعظ عام مركز جرجا

الحمد لله الحكيم العدل ، رب الأرض والسماء ، الحمد لله الكفيل بنصرة المظلومين الضعفاء ، الحمد لله المنفرد يوم الفصل بالحكم والقضاء ، سبحانه وأعظمته تعنو الجباه ، وهيبته تذل العتاه ، من الإنس والجان .

أستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا هو ، يرحم من عباده الرحماء المقسطين ، ويصب جام نعمته وسخطه على رؤوس الظلمة البقاة المعتدين .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الهداة وإمام المصلحين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) .

عباد الله : تعالوا نتسلل إلى داخل بيوت المسلمين ، ونستطلع ما فيها ، تعالوا بنا نشاهد مظاهر العسف والجبروت التي ملأت أرجاءها ونواحيها ، تعالوا بنا نختبر حال هؤلاء الأطفال الذين فارقتهم أمهم بالطلاق مرغمةً ، أو اخترمتها المنية ، واستودعتمهم إياهم مغترّة

واهمة ، ظانة أنه سيقى بوعده ، ويتقى الله فيهم ، ويوليهم ما يستحقونه من العطف والرعاية والحنان .

سنرى ولا بد على محياهم مظاهر الشقاء والنصب ، وسنبصر على بطونهم الضامرة آثار الجوع والسغب ، وسنقرأ في ملابسهم البالية القذرة نبأ ما يلقونه من النبذ والإهمال ، وسنطالع في أجسامهم النحيلة أمارات الإعنت والإذلال ، وسنسمع من شكاتهم مايفت الأكباد ، ويشير كوامن الأشجان .

سيقولون لنا : إن أباهم القاسى قد تلون بعد أهم وتغير ، وتراجع عما التزمه وقت الوفاة وتقهقر ، ونسى أو تناسى كل حق لأبنائه ، وتمجرت عواطفه ، وصار قلبه أقسى وأصلب من الصفوان .

سيقولون لنا : إن أباهم قد تواطأ مع زوجه على النكاية بهم ، وأطاعها فى كل شىء ، وصدق ما تلقىه من الوشائيات فى حقهم ، واتخذ كلامها حجة قاطعة ، وقولاً فصلاً ، وأعرض عنهم ، ولم يقبل منهم فى الدفاع عن أنفسهم قولاً ، بل تمر لهم وأذاقهم من ألوان الاضطهاد ما لا يتحملة إنسان .

سيقولون لنا : إن أبناء الزوجة الجديدة فى أرغد عيش وأرضاهها ، يأكلون أطيب الأطعمة ، أو يلبسون من الثياب أئمنها وأغلاها ، بينما هم لا ينالون من الطعام إلا الفضلات ، ولا يجدون الكسوة الضرورية إلا بعد الإلحاح والتوسلات ، وكل ذلك على مرأى ومسمع من أبيهم اللئيم الخوان .

هكذا سنرى من حالهم ، وهكذا سنسمع من أقوالهم ، ولعل حقيقة ما يلقون من الاضطهاد أفظع مما حكينا وأشنع ، وما أكثر وقوع هذه الفجائع فى هذه الأيام !

وما أكثر ما يتخذ الآباء من ضعف الأبناء سبيلاً إلى التمدادى فى الظلم والإجرام !
وما أكثر ما تتخذ الزوجات من نذالة الآباء ، معيناً على التغالى فى مظاهر الجبروت والظفیان !

ألا فاتقوا الله عباد الله ، واحذروا أن تكونوا من هؤلاء الظلمة البغاة الذين عبدوا شهواتهم ، وآثروا إرضاء الزوجة على إرضاء الله ، وقولوا لمن تعرفونه منهم :

الويل لك أيها الوحش الآدمي من ديان يوم الدين ، وسوف تتبرأ منك هذه الزوجة التي أغضبت لأجلها رب العالمين ، وسوف تعضّ بنان الندم عند ما تفتح وجهك حرارة النيران .

ماذا يكون جوابك يامسكين إذا سألك الله عن هذه الرعية ، التي أسلم إليك أمورها ، وأكّد عليك في شأنها الوصية ؟

وهل ترى رحماً أحق بالوصل من رحم الأبناء ؟ وهل جهات أن للأبناء حقوقاً أكيدة على الآباء ؟ صبراً فلسوف تلقى القصاص الرادع من الله القوي المتين .

قولوا له هذا ، ثم عظوا بعده زوجته الظالمة الباغية ، وذكروها بمحوادث الليالي والأيام الخالية ، وسلوها هل ضمنت الحياة حتى يبلغ أولادها مبلغ الرجال ؟

وهل أمنت أن يسلط الله على أولادها من تذيقيهم بعدها العذاب والنكال ؟ ألا فلتحسن إلى هؤلاء ليسخر الله لأولادها من يعاملهم بالعطف والإحسان .

عباد الله : اتقوا الله ، ولا تقطعوا أرحامكم بظلم أولادكم ، ولا تتركوهم فرسةً لزوجاتكم وثقوا بأن التبعة والجرم واقع معظمه عليكم ، وما كان لزوجة أن تعتدى على أبناء زوجها إلا إذا آنت منه نذالةً وضعفاً وتحسست في تصرفاته رقاعةً وخرقاً ، وإلا فإن يدها مشلولة عن إيذائهم ما أظهر أبوم الحزم والرجولة ، ووطى شهوته بالأقدام .

اتقوا الله وارحموا أولادكم برحمة الله ، وسوّوا بينهم في العطف والرعاية تبهودوا برضاء الله ، وتوبوا إلى الله مما مضى يتقبل توبتكم ، ويقابلكم يوم القيامة بالصفح والغفران .

عن الحسن رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إِنَّ اللَّهَ سَائِلُ كُلِّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ ، حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » . (رواه ابن حبان)

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُولُ » . (رواه أبو داود والنسائي)

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« سَاوُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ فَلَوْ كُنْتُمْ مُفَضَّلًا أَحَدًا لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ عَلَى الرَّجَالِ » . (رواه الطبراني)

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« رَحِمَ اللهُ وَالِدًا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى رِيِّهِ » أي لم يجعله على العقوق بسوء عمله .
مجلة الإسلام العدد ٢٩ — السنة الثالثة (أبو الشيخ ابن حبان)

هذا ، ومن ظلم الآباء للأبناء أن يخص الأب أحد أبنائه ببعض أطيانه أو أمواله ،
ويُحرم الآخرين ، فيكون ذلك سبباً لإشعال نار الحسد والعداوة والبغضاء في نفوسهم ،
وربما أدى ذلك إلى قتل الأب أو الأبن الممتاز بثروته عن إخوته .
والحوادث التي تقع يومياً وتنتشر في الجرائد أكبر دليل على ذلك ؛ فعلى الآباء مراعاة
العدل والمساواة بين أبنائهم لدوام الصلة بينهم ، وإكثالا يتعدى أحد منهم على الآخر
أو يجور عليه ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

مظالم الآباء للأبناء أيضا

ظلم الأب بتزويجه ابنته قبل استشارتها

من الحوادث المحزنة أن بعض الآباء يظلم ابنته بزواجها من شخص متقدم في السن ،
قبل استشارتها في أمر زواجها منه ، مع أنه حق شرعي من حقوقها متى بلغت سن الرشد ،
فتكون النتيجة : إما الفراق ، أو الطلاق ، أو الانتحار .

ومن تصفح أخبار الجرائد اليومية اتضح له وقوع هذه الحوادث بكثرة .

وإليك ملخص رواية (مظالم الآباء) الدالة على ذلك التي مثلت بدار الأوبرا وحضرها
كثير من الأمراء والأدباء في عهد الخديوي (عباس باشا الثاني) رحمه الله .

كان لرجل غني ابنة توفيت والدتها ، فأقامت عند خالها (بعد زواج أبيها) فعنى بها
ورباها مع أولاده ، وكان شديد الرغبة في تزويجها بأحدهم ، وكانت هي أيضاً ترغب
في الاقتران به لاتفاقهما سنّاً وخلقاً وميلاً .

ولكن أبي والدها إلا أن يزوجه من وزير خطير ، طاعن في السن ، طمعاً في ثروته ،
وأملآ في أن ينال على يديه الرفعة والجاه ، واتفق معه على ذلك .

فلما حضر إلى منزل خالها ، وعرض عليها هذه الرغبة أظهرت عدم ارتياحها وخرجت من عنده باكية شاكية أمرها لخالها ، فأخذ خالها في أن يقنع والدها بأنها محقة في رفض هذا الزواج القهري ، وأن الشرع الشريف يخول لها الحق في أخذ رأيها ، واستشارتها قبل زواجها لأنها ليست قاصرة ، وأنها بالغة الرشد ، وأنه لا يصح سلب حقها الشرعي في اختيار بعثها .

وأخذ يشرح له في أن الزواج القهري الذي يبني على غايات ، ولا ينظر فيه إلى اتلاف قلب الزوجين هو زواج فاسد ، وما يبني على الفاسد فهو فاسد ، ويضرب له الأمثال بالحوادث التي وقعت من هذا القبيل ، وكانت نتيجة جلب العار ، وتخریب الديار ، قائلًا له :
كم من حسناء عريقة الحسب ، شريفة النسب ، جرّها ضغط أبويها وظلمها إلى هاوية لا قرار لها ، وتجرع والداها بعد اضطرادها لها غصص الحزن والكرب ،
وتندما على ذلك .

وبعد جدال طويل بين الخال والأب ، قال الخال له : لقد نصحتك وأنت وشأنك ، فإن التبعة ستقع عليك لا على غيرك ، ولا أبني لك ولأبنتك إلا الخير والنجاح ، والسعادة والهناء في الحياة .

وانصرف الأب وهو مصرّ على تنفيذ رغبته ، وفي أثناء حديثهما ذهبت البنت إلى غرفتها وشكت أمرها إلى ابن خالها خطيبها ، واتفقا على أن يرسل خطابًا للوزير الفنى ، الذى يرغب والدها في زواجها منه ، يحذره فيه من الإقدام على هذا الزواج القهري قائلًا له :
مولاي الوزير الخطير

أقدم لمولاي فروض التحية والاحترام — وبعد ، فإنى لا أريد أن أخدع مولاي ، بل أرغب فى أن أطلمه على الحقيقة نقية لا يشوبها كذب ولا تمويه .

ريبت أنا وابنة عمى فى بيت واحد ، حتى نبتت بذرة الحب فى قلبينا ، وتأصلت جذورها ، فأصبحنا لاغنى لأحدنا عن الآخر ، ولذا تعاهدنا على الزواج من زمن طويل ، ووافق على ذلك والدى ووالدى .

أما ما حصل من حضرة والدها ، إذ قرر زواجها من دولتكم ، فهو ليس بعلم الأنسة

ولا باختيارها ، وإني لأحمد الله على أن الأمر لم يتم بعد ، إذ أنه ان يكون فيه لدولة الوزير سعادة ولاهناء ولاراحة ، لأنكما ما خلقتما لتكونا زوجين ، وكفى باختلاف السن والطبع والمواطف بهائناً .

ولى ثقة بأن دولة الوزير سيشكر لي صراحتي ، ومبادرتي باطلاعه على هذه الحقيقة التي أريد بها إنفاذه من هذه الورطة التي يريد والدها أن يوقعه فيها .

فغاية رجائي إلى مولاي الوزير ، وقد عهدته بعيد النظر ، راجح العقل ، شريف المواطف ، أن يتخلى عن زواجه منها ، ولا يرضخ لرغبة والدها ، وبذلك يحسن إلى نفسه وإليها وإلى ، والله الموفق لما فيه الخير والصواب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فلما قرأ الوزير هذا الخطاب ، ورأى فيه الحق والصواب ، طلب والدها وأطلعه عليه فلم ينته من مطالعته حتى أظلمت الدنيا في وجهه ، واستشاط غضباً ، وقال :

ويل للسفهاء ! لقد أغواها الشيطان ، وأغراها ابن خالها الخائن الغاصب .
فأخذ الوزير يهدى روعه ويعتب عليه قائلاً :

لقد أسأت إلى أيها الرجل ، وإلى نفسك ، حيث أفهمتني كذباً أنك عرضت على ابنتك زواحي منها ، فرضيت بي بملاها ، والآن وقد ظهر كذبك وغشك ، وأهنتني إهانة لن أنساها أبد الدهر ، يحق لي أن ألومك ، وأقطع صلتى بك ؛ إن لابنتك حقاً في طلبها ، وقد أحسنت لنفسها الاختيار ، فأسرع في زواجها من ابن خالها ، لأنه على ما أرى من فخوى خطابه لائق بها كما هي لائقة به ، لأنهما تربيا في بيئة واحدة ، وامتزجا طبعاً وخلقاً ، لاسياً وأنها في سن واحدة .

أما أنا في شيخوختي هذه لا يليق بي التزوج بفتاة صغيرة ، لأنه ربما لا تحسن معاشرتي فأسيء إلى نفسي وإليها أيضاً ، وأكون سبباً في ضياع مستقبلها وسمعتها .

فالحق الذي لامراء فيه ، أنها لائقة بابن خالها ، وهو بها أليق مني ، فليقتربنا على بركة الله ، ولا نقف في طريقهما . وإني أدعو الله أن يبارك لها في قرانها ، وأن يوفق بينهما ويؤيدهما في حياتهما الزوجية بروح من عنده .

وكانت النتيجة أن تزوجت البنت فعلاً من ابن خالها ، وعاشت معه في صفاء وهناء ، ورجع والدها الظالم إلى رشده ، واستغفر ربه ، وحمد على هذه النتيجة السارة لهم جميعاً .

وإليك قصيدة لحضرة الأستاذ « محمود رمزي نظم » في نتيجة الزواج القهري (بسبب ظلم الآباء للبنات ^(١)).

شيخ له قصر وظلّ وارف وحديقة غناً وكنز نضار
بلغ الثمانين التي مرّت به وكأنها ليل وبعض نهار
خطب ابنة في سن أربع عشرة من والد ذي عزة ويسار
حسنا تلمح في محاسن وجهها ضوء الهلال ونضرة الأزهار
زفت وكان المقد قبل زفافها أو يبعها للشيخ بالدينار
دخلت عليه وفي دخول جهنم خير لها من دار وحش ضار
والموت خلف مشييه متمجبل متخلل في شمره متوار
ظنته والد زوجها أو جده وهو العريس أو الغنى الشارى
ابتاعها من والد ذي حيلة خداع كل مخادع مكار
ضحى بها متطاعاً لوراثة بعد الممات عظيمة المقدار

مرت شهور والفتاة كشيبة تبيكى وتطلب رحمة الغفار
طلبت أباهما أن يجيء فزارها متظاهراً لقرينها بوقار
متفاخراً بدياره وقصوره والروض ذى الأعشاب والأشجار
وبعزة الرتب التي قد نالها من بعد بذل الوجه والدينار
فراى الفتاة مريضة وكأنها مأسورة فى سجنها بأسار
مرزوءة فى حسننا وشبابها مطروحة لعواطف الأقدار
قالت له لما رأته ودمعها ينهل مثل العارض المدرار
أدرك فتاة قد رميت شبابها فى شرّ هاوية وشرّ قرار
زوجتنى ممن سئمت لأجله هذى الحياة ورحب هذا الدار
أذبلت يا أبتي نضارة صورتي أشعلت فى كبدى لهيب النار
وجنيت يا أبتي ولست بمذنب إن الجهالة أكبر الأخطار

(١) انظر كتاب « سعادة الزوجين » الجزء الأول لعل فكرى .

فبدا له سقم الفتاة وإنما
أنساه ميراث الفنى فتاته
ففى وخلفها وصبر قلبها
«طمع الفتى أصل المصائب كلها»
ضاق بها الدنيا بوسع رحبها
وشكت إليه فضمها فتحجبت
راحت شهيدة والد متعسف
فعلى الشهيدة فى الخلود تحية
وبعض القلوب كجماد الأحجار
وأزال عنه براعت الأكار
صبر المقيم على شفير هار
مفنى الحياة بسيفه البتار
فتخيرات نهراً من الأنهار
بمياهه عن سائر الأنظار
خوف العقوق لرحمة القهار
وعلى المطامع لعنة الجبار

ظلم الابن لأبيه

هذه خلاصة قصيدة لحضرة صاحب السعادة السيد شكرى باشا ، ومنها يتبين ظلم ابنه إليه ، وما فعله معه أمام القضاء ، ونتيجة الحكم والظلم فى القضاة الذين أصدروا الحكم ضده

ولقد بليت بظلم من ربيته
غضب الظلوم المزلين تعلقى
وقد افتزى كذباً على ومسئى
وأنا ضعيف أبتغى منه الوفا
إذا صار ذا مال وجاء بعد ما
قد أنكر المعروف والسبب الذى
هو مستشار فى القضاة ولذا قضاوا
إن القضاة العادلين تمنعوا
وقد ارتضى بالظلم من حكموا له
مع أنهم قد عاهدوا المولى على
طبقاً لدستور البلاد وأقسموا
لكنهم نكثوا فكان جزاؤهم
وبظلم أحكام القضاة أحبته
وأضاع وقتهما على بجدعته
منه الأذى لما أحس بقوته
زمن الشيخوخة باتصال مبرته
كان مجرد عنهما فى نشأته
شاء الإله به الوصول لرفعته
ضدى بغير الحق حسب إرادته
عن حكمهم بقضيتى كشيئته
كل يجازيه الإله بخطته
أن يحكموا بالعدل حسب شريعته
بأفقه عند رئيسهم فى حضرته
خزياً وعاراً والعذاب بشدته

فرح السخيف بحكمهم ويل له
إن لم يكن في عاجل فلدى الجزا
إذ لا جدال بباطل في يومه
فأله ينطق كل جارحة بما
فساه يرجع بالمآب لربه
إن الإله لذوانتقام ويلهم
يا ويلهم تبعوا الهوى في حكمهم
فالظلم في هذا الزمان كأنه
حتى على الآباء من أبنائهم
ورفعت شكوى للمليك لأنه
فهو الرئيس على الجميع وإنه
فأله ولاه ويسأله غداً
فبأمره التحقيق صار وإنما
فبقدر إمكاني أقوم بواجبي
وإذا انتهى حكمه بأية حالة
فلنحذر الأولاد خشية شرهم
وبوصل بر الوالدين فوائد

حقاً سيمصبح نادماً مع حسرته
يوم العدالة والحساب بسرعه
والحق يظهره الإله بقدرته
عملت سوى المغفور فيه برحمته
ليفوز بالفرات خشية نعمته
من بطشه فهو العزيز بقوته
لم يخشوا المولى وشدة سلطوته
عمَّ المباد كما يرى من حالته
من مجرم دين الإله بشرعته
حسن العدالة في شئون رعيته
عنهم لمستول بحكم رياسته
عن كل أمر واقع في دولته
تحرير هذا جاء قبل نتيجه
لظهور حق الله بغيته نصرته
قبل انتهاء الطبع^(١) جئت بقصته
عملاً بقول إلهنا في آيته^(٢)
فارجع إليه تفز بحسن إفادته

(المنظومة الشكرية ، الجزء الثالث ، ص ٢٥٨)

ثم نشر في الجزء الرابع قصيدة أخرى بنتيجة الصلح الذي تم بينه وبين ابنه بعد
اصترانه بمحقوقه ، وندمه على ما حصل منه .

نذكر ملخصها تمة للموضوع ، ولما فيها من الفائدة والعظة والاعتبار .
فاصبر أخى للإبتلاء وشدته صبراً جميلاً لانتهاه مصيبته
فن المحال دوام حال فاصبروا لقضاء رب العالمين وحكمته

(١) أى طبع الكتاب المنظومة الشكرية .
(٢) (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاخذروهم) .

فالصبر من عزم الأمور مع التقى
فلها افطنوا ولقول طه تهتدوا
ولتتقوا شرَّ الذي أحسنتمو
أولادنا قال الإله فمنهمو
ولئن صفحتم أو غفرتم إنه
فبرحة من ربنا الرحمن قد
فقد ابتليت بظلم من ربيته
وأساءني زمناً طويلاً وافترى
والله يشهد إنني دافعت عن
بالصبر والتقوى كما هو واضح
لما رأى ولدى افتراه أساءه
وأتمه بعداً بحكمة القضا
وبكانه متندماً مما جرى
فعليه قلبي قد أحسن بطبعه
وصفحت عنه بعدما كان القضا
حكّم القضاة بصلحنا وتنازلى
كتبت شروط الصلح حسب مراده

الى أن قال :

لى أسوة بمن ابتلوا من ربهم
هدأ لربى قد بليت كما ابتلوا
والصبر للإنسان خير وسيلة
وبصبرهم نالوا الرضا بسعادته
ففساه يلحقتى بهم فى جنته
لنوال ما يبغيه من أمنيته

والتصيدة طويلة نكتفى بما ذكرناها ، ونرجو لسعادته طول العمر والبقاء ، والسعادة والهناء .

(١) قال الله تعالى : (لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) .
(٢) (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) الآية .

مظالم الأبناء للآباء أو عقوق الوالدين

الولد إذا كان مستقيماً مطيعاً لوالديه بارّاً بهما يقال له ولد بارٌّ ؛ وإذا كان شقيماً مخالفاً لأوامرهما مسيئاً لهما يقال له ولد عاقٍ لوالديه ظالم لهما ؛ وعقوق الوالدين من أفظع الجنايات والآثام ، وأفبح أنواع الجحود والكفران .

ولهذا قد أمر الله عز وجل بحسن معاملة الوالدين وبرّهما ، ونهى عن الإساءة إليهما وعقوقهما ، ومخاطبتهما بالغلظة والفظاظة ، فقال تعالى :

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) .

فأمر جل شأنه بتوحيده وعبادته ، وبالغ في التوصية ببرّ الوالدين وعدم عقوقهما ، مبالغةً تقشعر لها جلود الأبناء العاقين ، فقال تعالى : (إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) أى إن كبرا وهما في كنفك وكفالتك ، فلا يصح أن تقول لهما أى قول يكدر خاطرهما ، أو يجلب غضبهما ، حتى التأفف الذى هو أدنى درجات القول السيئ ، مما لا يصح أن يصدر منك نحوها إذا حصل منهما ما لا يلائمك ويعجبك ، بل الواجب عليك بدل ذلك أن تعاملهما بالحسنى ، وتقول لهما القول اللين ، الطيب الحسن ، مع الأدب والتوقير والاحترام ، والتعظيم والاحتشام ، وأن تخفض لهما جناح الذل ، أى تتواضع وتتذلل لهما بجميع أنواع التذلل والمسكنة لأنهما صاروا في حالة تدعوك للرفق بهما ، والمطف عليهما .

ثم أوصى بطلب الدعاء لهما بالرحمة والغفران فقال : (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) أى ارحمهما رحمةً مثل رحمتها وتربيتها إياى وأنا صغير محتاج إليهما .

ولما كان كثير من الأبناء ظلّموا آباءهم وعذبوهم وأخذوا أموالهم وأساءوا معاملتهم ، حتى صاروا أعداء لهم ، حذرنا الله من هؤلاء الأبناء ، فقال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ،

وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ
وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

وقد انتقم الله منهم بأن أطال أعمارهم ، وأقرهم وأذلهم ، وسلط عليهم أبناءهم ليشلوا
بهم أشنع تمثيل ، ويذيقوم ما أذاقوا لأبائهم ، وكانوا مثلاً سيئاً بين عشيرتهم وإخوانهم
وباءوا بغضب من الله ، وبدت عليهم سوء الخاتمة ، ولم يبارك الله لهم في أولادهم .

وهذا من ضروب الانتقام من الله المنتقم الجبار ، القاهر فوق عباده .

ألا فليعلم كل امرئ أن عقوق الوالدين من الكبائر التي حرمها الله تعالى ، كما قال

صلى الله عليه وسلم :

١ - « الكبائرُ : الشُّركُ بالله ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ . »

وفي حديث آخر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

٢ - « كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ ،

فَإِنَّ اللَّهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ » فيدرك الولد العاق نتيجة ذلك في حياته
بالعقاب الشديد .

٣ - وذكر أبو الليث السمرقندي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ عَلِمَ اللَّهُ

شَيْئاً مِنْ الْعُقُوقِ أَذَى مِنْ أَفٍّ لَنَهَى عَنْ ذَلِكَ ، فَلْيَعْمَلِ الْعَاقُ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ
يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، وَيَعْمَلِ الْبَارُّ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ . »

وفي حديث آخر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

٤ - « أَرْبَعٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ ، وَلَا يُذِيقَهُمْ نَعِيمَهَا : مُذْمِنٌ

الْخَمْرِ ، وَأَكْلُ الرَّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَالْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ . »

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

٥ - « مِنَ الْكِبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ

وَالِدَيْهِ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ . »

(رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي)

وفي رواية للبخارى ومسلم : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة نكتفي بما ذكر منها

ويستخلص منها أن أضرار عصيان الوالدين وعقوقهما ، كما بينها النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه هي :

أولاً : أنه حرم الله عقوق الوالدين وكره ذلك .

ثانياً : أنه من الكبائر المهلكة الموصلة إلى الجحيم .

ثالثاً : أنه يمنع صاحبه من الدخول في الجنة ، والتمتع بنعيمها ، والتعطر بريحها ، وشم شذاها .

رابعاً : ينال العاق جزاءه في الدنيا قبل مماته من تحقير وفقر مدقع ، وأمراض وسخط أهله ، وإبعاده في عقاب أسرع .

ولنذكر بعض أمثلة تطبيقية على ما ذكر في عقوق الوالدين ، نقلاً عن كتاب : « السميع الواعظ » الجزء الثاني .

١ - روى البيهقي عن جابر قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَادْهَبْ فَأْتِنِي بِأَبِيكَ ، فَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يُقَرِّتُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : إِذَا جَاءَكَ الشَّيْخُ فَسَلِّ عَنْ شَيْءٍ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَا سَمِعْتُهُ أُذُنَاهُ فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا بَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ ؟ تُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ ؟ قَالَ : سَلِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ أَنْفَقْتُهُ إِلَّا عَلَى عَمَاتِهِ وَخَالَاتِهِ ، أَوْ عَلَى نَفْسِي ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِيه ، دَعْنَا مِنْ هَذَا ، أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ مَطَّلَعْتُهُ فِي نَفْسِكَ مَا سَمِعْتُهُ أُذُنَاكَ ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَزَالُ اللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُنَا بِكَ يَقِينًا لَقَدْ قُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمِعْتُهُ أُذُنَاكَ فَقَالَ : قُلْ وَأَنَا أَسْمَعُ فَقَالَ :

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً تعلم^(١) بما أجنى^(٢) إليك وتنهل^(٣)
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا ساهراً أتمهل
كأني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعميت تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى إليها مدى ما كنت فيها أوئل
جعلت جزأى غلظةً وفضاظَةً كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى فعلت كما الجار الجاور يفعل
فأوليتنى حق الجوار ولم تكن على بمالى دون مالك تبخل
قال جابر : فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلايب ابنه وقال : « أَنْتَ
وَمَالِكَ لِأَبِيكَ » .

٢ - وعن أنس رضى الله عنه : « أن شاباً كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي (علقمة) ، مرض واشتد مرضه ، فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فلم ينطق لسانه ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هل له أبوان ؟ فقيل : مات أبوه وله أم كبيرة ، فأرسل إليها الرسول فجاءت ، فسألها عن حال ابنها ، فقالت : كان يصلى كذا وكذا ، وكان يصوم كذا وكذا ، وكان يتصدق بمجملة دراهم ماندرى وزنها ولا عددها . قال : فإحالك وحاله ؟ قالت : أنا عليه ساخطة واجدة . قال لها : ولم ذلك ؟ قالت : كان يؤثر على امرأته ويطيعها فى الأشياء . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : سَخَطُ أُمَّهِ حَجَبَ لِسَانَهُ عَنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ثم قال لبلال : انطلق واجمع خطباً كثيراً حتى تحرقه بالنار ، فقالت : يا رسول الله ، ابني وثمره فوادى تحرقه بالنار بين يدي ؟ وكيف يحتمل قلبى ذلك ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : إِنْ كَانَ يَسْرُوكِ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ فَأَرْضَى عَنْهُ ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَا يَنْتَفِعُ بِصَلَاتِهِ وَلَا بِصَدَقَتِهِ وَلَا بِصَوْمِهِ مَا دُمْتُ عَلَيْهِ سَاخِطَةً ، فرفعت يدها وقالت : أشهد الله تعالى وأنت يا رسول الله ومن حضر أنى قد

(١) عل : شرب مرة بعد مرة . (٢) أجنى : أجليه وأحضره إليك .
(٣) نهل : شرب المرة الأولى حتى روى . والمراد : تغذت بما أجنىه إليك من الماء كقول
والمعروب بقدر ما يحتاج وتشهى .

رضيت عنه . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : انطلق يا بلال فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول لا إله إلا الله ؟ فاملأ أمه تكلمت بما ليس في قلبها حياة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بلال ، فلما انتهى إلى الباب سمع علقمة يقول : لا إله إلا الله ، ومات من يومه .

في هذه الإشارة على أن رضا الرب من رضا الأم والأب ، ولقد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه : « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

٣ — حدثنا التاريخ أن رجلاً كبير عنده أبوه ، فكره أن يأكل معه على مائدة واحدة وعزله في الأكل ، وصار يأكل هو وأولاده الصغار ، والأب في معزل عنهم منفرداً يأكل من إناء خاص أعد له .

واقف أن انكسر ذلك الإناء ، ففتقه ذلك الابن العاق على ذلك تعنيفاً شديداً ، وعمل له إناء من الخشب لكيلا ينكسر ، وفي أول مرة كان يأكل منه وهو في معزل ، والصغار أولاد الابن يأكلون معه ، إذا بأحدهم يقول لأبيه : حسناً يا والدي فقلت ، فسنبحتفظ لك بهذا الإناء حتى تكبر وتكون مثل جدي ، فتأكل فيه منفرداً عنا ، كما يأكل جدي الآن .

فكانت هذه عظة بالغة لهذا الابن العاق ، الذي قام على الفور يقبل يد والده ويسأله الصفح والمغفرة ، ومن بعدها لم يعد إلى ما كان عليه .

وفي هذه الإشارة إلى أن ما يفعل بالآباء ، يقتص به من الأبناء ، فكما تدين تدان ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

٤ — وقال الأصمعي : حدثني رجل من الأعراب قال : خرجت من الحى أطلب أعق الناس وأبر الناس ، فكنت أطوف بالأحياء حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو في الهاجرة والحر الشديد ، وخلفه شاب في يده رشاء من جلد ملوى يضربه به قد شق ظهره بهذا الحبل . فقلت : أما تتق الله في هذا الشيخ الضعيف ؟ أما يكفيه ما هو فيه من مد هذا الحبل حتى تضربه ؟ قال : إنه مع هذا أبي ، قلت : فلا جزاك الله خيراً ، قال : اسكت فهكذا كان يصنع هو بأبيه ، وكذا كان يصنع أبوه بجده ، فقلت :

هذا أعق الناس ، ثم جُلت أيضاً حتى انتهت إلى شاب في عنقه زنبيل فيه شيخ ، كأنه فرخ ، فيضمه بين يديه في كل ساعة فيزقه كما يزرق الفرخ ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : أبي وقد كبر فأنا أ كفله ، قلت : فهذا أبرّ الناس ، فرجعت وقد رأيت أبرّهم وأعقهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ » .

ظلم الأمم سبب هلاكها وفنائها

في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل صراحة على أن أسباب هلاك القرى والأمم هي الظلم والظلميان ، وعدم اتباع أوامر الله الواحد الديان ، نذكر منها ما يأتي مع تفسيرها :

١ - (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا)

سورة الكهف آية ٥٩

يقول الله تعالى ذكره : (وتلك القرى) أي عاد وثمود وأصحاب الأيكة أهلكتنا أهلها لما ظلموا ، فكفروا بالله وآياته (وجعلنا لمهلكهم موعداً) يعني ميقاتاً وأجلاً ، حينما بلغوه جاءهم عذابنا فأهلكناهم به .

٢ - (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا) سورة الإسراء آية ١٦

يقول الله تعالى ذكره : وإذا أردنا أن نهلك قرية أكثرنا متنعيمها فتسكعوا في ضلالتهم واستهتروا في الجري وراء أهوائهم ، فوجبت عليها كلمة ربك فدمرها تدميراً .

حقاً إن أمراض النفوس لأشد فتكاً بالشعوب ، وأسرع إبادة للأمم من أمراض الأجسام ، وإليك الدليل الحديث المحسوس ، ماقاله وزير فرنسا المنكوبة في الحرب الثانية الطاحنة ، قال ضمن خطبة له :

« إن محنة فرنسا جاءت من الانحلال الخلقى ، والأنهيار الذى سببته نشوة النصر ،

فاندفعنا في اللهو والرح ، وطنى ذلك على روح التضحية ، وأراد كل أن يأخذ أكثر مما يعطى .

نم أخلاق الأمم مقياس كفاءتها ، وعنوان شهرتها ، وقوة سلطانها ونصرها ، وإن

المعاصي تزيل النعم ، وتزيد النقم ، وتميت الهمم ، وتفسد الذمم ، وتضعف العاطفة الوطنية ، وتميت النخوة والشهامة والحمية ، وتضعف بروح الجندية ، وتصرف الشعب عن الإنتاج والعمل ، إلى اللهو والكسل ، وهذا هو عين الضياع والفشل .

٣ - (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعْتَلَّةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ) سورة الحج آية ٤٥

يقول الله تعالى ذكره : وكم من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي ساقطة حيطانها على سقوفها ، وكم بئر ملأى بالماء معطلة لهلاك أهلها ، وكم قصر مشيد خال من سكانه .

٤ - (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ نُمُّ أَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ)
سورة الحج آية ٤٨

يقول الله تعالى ذكره : وكم من قرية أمهلتها وهي ظالمة لترجع إلى الصواب ثم أخذتها بعد اليأس من صلاحها ، وإلى المرجع والمصير .

٥ - (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)
سورة النمل آية ٥٢

يقول الله تعالى : كان في المدينة تسعة رجال من أهل الفساد تحالفوا على مباغنة (صالح عليه السلام) وقتله هو وأهله ، وأن يقولوا لولى دمه : ما حضرنا هلاكهم فضلاً عن ارتكابه ، ومكروا مكرم ، ورد الله كيدهم في نحرم وهم لا يشعرون .

فكان عاقبة مكرم أن محتهم الله أجمعين ، فتلك بيوتهم مهدمة بما ظلموا ، وفي ذلك عبرة لقوم يعلمون فيتعظون .

٦ - (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَاقْتَدَى جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)

سورة النحل آية ١١٢، ١١٣

وضرب الله مثلاً : قرية كانت آمنة مطمئنة ، لا يشوب صفاء أهلها كدر ، يأتيها

رزقها موسعاً من جميع نواحيها ، فكفرت بنعم الله عليها ، فأذاقها الله ألم الجوع والخوف بما كانوا يعملون .

ولقد جاءهم رسول من جنسهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون .

٧ - (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَغَتْ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) سورة القصص آية ٥٨

وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها ، فانظر إلى مساكينهم قد خلت منهم ، ولم يسكنها من بعدهم إلا المارة يأتون إليها زمناً يسيراً ثم يهجرونها وكنا نحن وارثها .

٨ - (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) سورة القصص آية ٥٩

وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في أمهاتها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا ليهلك القرى إلا وأهلها قد استحقوا الهلاك بظلمهم .

٩ - (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ . مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) سورة الحجر آية ٤، ٥

وما أهلكتنا من أمة إلا ولها أجل محدد ، مقدر في اللوح المحفوظ لا نتقدم أمة أجلها ولا نتأخر عنه .

١٠ - (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) سورة يونس آية ١٣

ولقد أهلكتنا الأمم السابقة بسبب ظلمهم حيث أرسلنا إليهم رسلاً بالبينات ، فلم يؤمنوا وكذلك نجزي القوم المجرمين .

١١ - (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) سورة هود آية ٨٢ ، ٨٣

لما جاء عذابنا قلبنا مدينتهم بهم ، وجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متحجر منتظمة متتامة ومطعمة من خزان ربك ، وهي ليست من الظالمين ببعيد .

١٢ — (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)

سورة هود آية ١٠٢

بعد أن ذكر الله أخبار القرى التي أريدت وأهلكت بسبب ظلمهم باتباع الأضاليل ولم تنفعهم آلهتهم بشئ لما جاءهم عذاب الله قال : ومثل ذلك الأخذ ، أخذ ربك إذا انتقم من القرى وهي ظالمة له ، انتقاماً ألماً شديداً .

١٣ — (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ)

سورة الأنبياء آية ١١

وكم أهلكنا من قرية كانت ظالمة ، وأوجدنا بعدها قوماً آخرين .

١٤ — (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَدَا مُنْذِرُونَ . ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ)

سورة الشعراء آية ٢٠٨، ٢٠٩

إننا لم نهلك قرية إلا بعد أن نبعث فيها مندرين يذكرون لأهلها عاقبة تماديهم في الفى والضلال ، وما كنا ظالمين .

١٥ — (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْيَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ) سورة هود آية ١١٧

وما كان ربك ليهلك أهل القرى ظلماً وهم مصلحون ، أى يعملون الصالحات ،

ويتمسكون بالفضائل .

١٦ — (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ

الظَّالِمُونَ) سورة الأنعام آية ٤٧

قل لهم يا محمد : أرايتكم لو أتاكم عذاب الله فجأةً بلامقدمات ، أو جهرةً تتقدمه أمارات

هل يهلك إلا القوم الظالمون ؟

وفي هذا القدر كفاية ، والسلام على من اتبع الهدى .

مظالم الدولة الرومانية^(١) للأمة المصرية

إن مصر شهدت في عصر الدولة الرومانية من المظالم ما لم تره في أى عصر من عصورها ، ولاسيا فيما يختص بالاضطهادات لأجل الدين ، فإن المصريين أخذوا بالديانة المسيحية في منتصف القرن الأول للميلاد بدعوة (مرقس) صاحب الإنجيل فإنه وفد إلى مصر في منتصف القرن الأول ، ونشر التعاليم المسيحية قبلها المصريون ، وأول كنيسة شيدت في هذه البلاد كانت في الاسكندرية سنة ٦٧ م فلم يرق هذا الدين في أعين الرومانيين في أوروبا ، فعارضوه ومنعوا انتشاره ، وأخذوا متبعيه بالقسوة المفرطة ، فصاروا يحرقونهم أو يمدبونهم حتى يموتوا تعذيباً ، وأوعزوا إلى نوابهم في مصر أن يجرؤوا على هذه الطريقة ، فجرؤوا عليها في معاملة (القبط) ، فأزهقوا منهم أرواحاً لا تحصى .

وظل الحال على هذا المنوال إلى أن تولى الأباطور الرومانى (ديقلاديانوس) من سنة ٢٨٤ إلى سنة ٣٠٣ م فعزم على إبادة المسيحيين ، فأعمل فيهم السيف في أوروبا ، وأمر نائبه على مصر أن يحدو حدوه في هذه البلاد ، ثم حضر هو نفسه إلى هذه البلاد ، وأعمل في أهلها الحديد والنار حتى قتل منهم ما يزيد عن الثمانمائة ألف نسمة ، وهي من الاضطهادات الكبرى التي قلت أمثالها في تاريخ البشر ، ولم يكن الحكم الرومانى من الوجهة المدنية على أسلوب يجب أهل هذه البلاد فيهم ، فقد كان الظلم سنة تلك الحكومة حتى ضج الناس ولم يجدوا لهم مخلصاً غير الاستسلام ، فصبوا مكرهين إلى سنة ٦٤٠ م حتى أتاهاهم العرب مخلصين لهم من هذا العذاب المهين .

فانظروا أيها المصريون المسيحيون إلى سوء معاملة الرومانيين لكم ، واضطهادهم لدينكم واحمدوا الله الذى خلصكم من أيديهم بفضل العرب والإسلام .

(عن دائرة المعارف لفريد بك وجدى)

(١) كان مقر الدولة الرومانية بلاد إيطاليا الحالية .

المثل الأعلى في الظلم (نيرون)

هو إمبراطور روماني تولى الملك وهو ابن خمس عشرة سنة ، فأظهر في أول أمره الوداعة ولين الجانب ، ثم تغيرت أحواله ، وتبدلت أطواره ، فأخذ في سلوك سبيل الجور والفساد وأوغل في رعيته ظلاماً وجوراً ، وارتكب في تسكعه في هذا السبيل أموراً لم يستجمعها ظالم قاهر من قبله .

فمن مآثره أنه عدا على معلمه الفيلسوف (سينيك) المشهور فقتله ، وقتل أمه التي كانت سبباً في توليه الملك وإجلاله على العرش ، وقتل امرأته وأخاه ، وقتل (يولسي) ، و (بطرس) الرسولين المسيحيين المشهورين ، وقتل مرقس صاحب الإنجيل بالإسكندرية ، وكان يكره أن ينتشر الدين المسيحي في رومية ، فبأنه أن بعضاً من أهلها صبأ إلى هذه الديانة (أي خرج من دينه إلى دين آخر) فأمر بإضرام النار في قسم منها ، وجلس على سطح قصره يعزف بالألحان ، ويتلوه بالنظر إلى النار ، وهي تلتقم بألستها الرجال والنساء والأطفال ، ثم نهض فأتهم المسيحيين بإحراقها ، وأخذ في التفنن في اضطهادهم ، حتى لم يدع وجهاً من وجوه القسوة إلا ارتكبها فيهم ، (حتى صار يضرب به المثل في الظلم والجور) .

فلما طال على الناس أمره اجتمعت كلمة رجال المملكة على عزله فمزقوه ، وحكموا عليه بالقتل ضرباً بالعصى ، فأبى نفسه أن يموت تعذيباً فقتل نفسه بيده (أي انتحر) .

وقيل : أو عز إلى كاتم أسرارته بقتله فقتله ، وقيل : هجم عليه الجنود فقطعوه بسيوفهم قطعاً قطعاً ، حتى لم يبق له عضو يعرف ، ثم رموا بأشلائه إلى الكلاب .

ولد سنة ٣٧ ميلادية ، وتولى الملك سنة ٥٤ وقاتل سنة (٦٨) م .

(دائرة معارف القرن العشرين لفريد بك وجدى)

وهذا جزاء ظلمه وعدوانه كما قال تعالى : (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) .

وجاء في الحكم : * وما من ظالم إلا سببى بأظلم *

نسأله تعالى أن يجنبنا الظلم ، وأن يكفيننا شر الظالمين .

ظلم أحمد بن طولون

حكى أنه لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه ، وتوجهوا إلى سيدة من الصالحات ، قيل إنها السيدة (نفيسة رضى الله عنها) وشكوا ذلك إليها . فقالت لهم : متى يركب ؟ قالوا : فى غد .

فكاتب رقة ووقفت فى طريقه وقالت : يا أحمد بن طولون .
فلما رآها عرفها ، فنزل عن فرسه ، وأخذ منها الرقة وقرأها فإذا فيها :
« ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهروتم ، وخولتم (أى أعطيتهم نمأً وخدماءً) ففسدتم ،
وردت إليكم الأرزاق ففقطتم .
هذا وقد علمت أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة ، لاسيما من قلوب أوجتموها ،
وأكباد أجمتموها ، وأجساد عريتوها ، اعملوا ماشئتم فإننا صابرون ، وجوروا فإننا بالله
مستجيرون ، واطلموا فإننا لله متظلمون (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) .
بمدل لوقته .

(من كتاب نور الأبصار ص ١٨٨)

ولقد صدق رسول الله فى حديثه : « اتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
اللَّهِ حِجَابٌ » وسبق شرح هذا الحديث .

ظلم الدول الكبيرة للدول الصغيرة

لاستعبادها واستنفاد ثروتها وأموالها

١ - ظلم إنجلترا لمصر

قضت إرادة الله - ولا راد لقضائه - وقضى سوء الحظ أن تقع مصر (مهد الحضارة والمدنية) في أيدي الإنجليز منذ سنة ١٨٨٢ ، وأن تستمر في قبضتهم ، وتحت نفوذهم وسيطرتهم أكثر من نصف قرن (٦٥ سنة) حتى ذاقت مرارة الصبر والضجر ، ورأت ألوان العذاب والكدر .

ولما أزد الله أن تنهض من كبوتها ، وأن تفيق من غفلتها ، هيا لها الأسباب للدفاع عن نفسها وحريتها ، ورفع نير الظلم عنها ، فرفعت قضيتها أخيراً أمام مجلس الأمن المنتخب من كبار الدول من هيئة الأمم المتحدة ، الجامعة لكل الدول بما فيها مصر طبقاً لميثاق الهيئة الذي ينص على المساواة والاتحاد ، واحترام الحقوق ، وإزالة الخلاف والنزاع بين الدول ، حفظاً للسلم العام .

رفعت مصر هذه القضية في يولييه سنة ١٩٤٧ ، مؤيدة بالحجج والمستندات ، مطالبة بحقوقها الشرعية وهي (جلاء الجنود الانجليزية جلاءً ناجزاً بلا قيد ولا شرط) ، وأجمع الشعب المصري على تأييد هذه المطالب ، ووقف وراءه دول العرب جميعها مؤيدة أيضاً لهذه المطالب والبلاد الإسلامية ، وكل شعب يطالب بحقه في الحرية والحياة .

وأخذت القضية أدواراً كثيرة في شهرى يولييه وأغسطس من سنة ١٩٤٧ في مناقشات ومعارضات واقتراحات ، وتقديم مذكرات ، ومع هذا كله لم يستطع مجلس الأمن الفصل في هذه القضية ، ولا أن يبدي قراراً حاسماً بشأنها ، مع عدالة مطالبها ، وموافقة بعض الدول عليها وهي : (روسيا ، وبولندا ، وسوريا ، وأمريكا) مع بعض التحفظ مجاملةً لإنجلترا ، بل أجلتها إلى أجل غير مسمى ، مع بقاء قيدها في جدول الأعمال ، رغماً عن محاولة إنجلترا شطب القضية ، مما هو منشور ومذكور بالتفصيل في الجرائد العربية والإفريقية ، ولا محل هنا لتكرارها خوف التطويل والملل .

ولم يراع مجلس الأمن العهد والميثاق الذي من أجله تكوّن وتشكل ، فكان في قراره ظالماً غشوماً ، وقد بذل قوته وسلطانه وسمعته .

فإذا كانت مصر لم تستطع أن تنال السبعة أصوات في مجلس الأمن المقررة لكسب قضيتها ، فيكفيها نغراً وشرفاً أن نالت أصوات الملايين من العالم ، وأن العالم أجمع أصدر حكمه لها بأنها صاحبة الحق المهضوم ، والشعب المظلوم ؛ وهذا يعتبر في نظر رجال العدالة فوز أدبي مما يقوى عزيمتها وإرادتها في الاستمرار على النضال والمكافحة حتى تتحرر من آخر جندي إنجليزي في بلادها ، وتنال حرية كاملة ، واستقلالاً تاماً بالمعنى الحقيقي ، في ظل صاحب العرش : « الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان » ، حفظه الله ، وأيد ملكه ، آمين .

شكوى مصر من الاحتلال

(لحضرة صاحب العزة المرحوم حافظ بك إبراهيم الشاعر الأديب)
نشرت في أول يناير سنة ١٩٥٧ م وطبعت بديوانه بالجزء الأول ص ٢٥
لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظالماً منظماً^(١)
تمنّ علينا اليوم أن أخصب الثرى وأن أصبح المصري حراً منعماً^(٢)
أعدّ عهد (إسماعيل) جلدًا وسخرة فإني رأيت المنّ أنكى وآلماً^(٣)
علمت على عزّ الجهاد وذُلنا فأغليتم طيناً وأرخصتم دماً
إذا أخصبت أرض وأجذب أهلها فلا طلمت نبتاً ولا جادها السماً^(٤)
نهش إلى الدينار حتى إذا مشى به ربّه للسوق ألفاه درهماً^(٥)

(١) حواشيه : نواحيه ، وتهذيبها : إصلاحها .

(٢) تمنّ : يخاطب عميد الدولة الانجليزية ، ويشير إلى ما كان يكتبه ذلك العميد في تقريراته من صلاح حال مصروفاتها بفضل الانجليز .

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كان يردده عميد الدولة الانجليزية وغيره من ساسة الانجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من اليهود ، ولاسيما عهد إسماعيل ، ممتدّين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم من تسخير الناس وجلد ظهورهم .

(٤) جادها السماء : أي نزل عليها المطر .

(٥) هش إليه : ارتاح وبش . ويشير بهذا إلى غلاء الحاجات وارتفاع أسعارها ، حتى إن الدينار

ينزل إلى قدر الدرهم في الشراء .

فلا تحسبوا في وفرة المال - لم تقد . متاعاً ولم تعصم من الفقر - مغنا
فإن كثير المال والخفض وارف^(١) قليل إذا حل الفلاء وخياً^(٢)

لاتأمن الأمم بعضها ظلم بعض إلا بالقوة

ولا تحفظ كل أمة وجودها إلا بفضل القوة

(من كتاب حقوق الشعب للأستاذ عبد الرحمن الراجحي بك)

الناس منذ خلق الله العالم لم يحافظوا على حقوقهم ، ولن يحافظوا عليها إلا بمقدار
مالديهم من شدة، وبأس وقوة ، وكذلك الأمم تتصارع وتتنازع في معترك الحياة الباقية ،
ولا يسود في تنازعها الأبدى مبدأ أيده الحوادث قديماً وحديثاً مثلما يسود بينها مبدأ القوة ،
فكم ديست للأمم حقوق لأن القوة تنقصها ، وكم انتهكت لها حزمات لضعفها وقلة حولها ،
ولكم خدعت الأمم نفسها ، وأرادت أن تعيش ضعيفة بين أمم قوية ، فسارعت تلك
الأمم في معاملتها عهداً ، ولا أنجزت وعداً ، ولا احترمت لها حقاً ، ولا سمعت منها قولاً ،
بل كان نصيبها أن توطأ حريتها وحقوقها تحت الأقدام !

ما أظلم الناس فرداً ! وما أظلم الناس جماعات ودولاً ! فكما أنه لا يمنع ظلم الإنسان عن
أخيه الإنسان إلا القوة ، وأعنى بها قوة الحكومة التي تضمن لكل فرد حقه ، كذلك
لاتأمن الأمم بعضها ظلم بعض إلا بالقوة ، ولا تحفظ كل أمة وجودها إلا بفضل مالديها
من القوة .

هكذا العالم وتلك سنة الله فيه ؛ فما أتعبت تلك الأمم التي جهلت ذلك المبدأ
ونبذته ! لا تجد من ينصفها على من يظلمها حتى من أبنائها الذين هم أقرب الناس إليها ،
يميشون عبيداً للقوة ، وخداماً لها ، وهي تطالب بحقوقها ، فلا تجد من يجب طلبها ،
أو يصفى لندائها ، لأن القوة تنقصها .
المصري في ١١/٩/١٩٤٨

(١) الخفض : سعة العيش ورغده . والوارف : المنسج .

يقول : إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وفلاء الحاجات لانفسي شيئاً .

٢ - مظالم إيطاليا وفضائعها في طرابلس الغرب

في سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م)

تقلاً عن كتاب «المنظومة الشكرية» الجزء الثالث ص ٢٥٤

ومن التوحش ماجنت إيطاليا بطرابلس الغرب انظروا لفضاعته
قتلوا الرجال ونصروا الأطفال بل هتكوا النساء بظلمهم وقساوته
داسوا المصاحف بالنعال وجاهروا بمدايهم للنبيذ ولأمتهم
ظنوا بذا نصر المسيح ودينه أن المسيح خصيمهم بقيامته
فالناس طراً يذكرون صنيعهم والله يلغنهم وكل خليقته
ويل لأهل الظلم حين جزائهم دنيا وأخرى ويلهم من نعمته

وقد انتقم الله فعلاً من هذه الدولة الظالمة في الحرب العالمية الثانية ، وسلخ من يدها الحبشة وطرابلس^(١) الغرب أيضاً ، وأفل نجمها ، وضاع الكثير من رجالها وأولادها وأسطولها ، وأصبحت يضرب بها المثل ، في الخزي والعار والفشل .

وهذا جزاء وانتقام من الواحد القهار ، لأهل طرابلس الغرب ، وذكري وعبرة لغيرها .
هذا ، وقد أراد الله أن يتحول الحال ، بعد طول الصبر والانتظار ، وبعد العداة الذي كان مستحكماً بين الإيطاليين والطرابلسيين أن تطلب إيطاليا استقلال طرابلس ، فسبحان مقاب الأحوال ، وبلوغ طرابلس هذا الاستقلال على يد عدوتها الظالمة (إيطاليا) .

انظر المصري الصادر في ٢٦ يولييه سنة ١٩٤٩ الصفحة الثالثة بالخط الثلث :

(إيطاليا تطلب استقلال أريتريا بالحبشة وطرابلس)

(١) سقطت طرابلس في أيدي البريطانيين في يوم السبت ٢٣ يناير سنة ١٩٤٣

٣ - ظلم فرنسا لتونس ومراكش والجزائر

مضى أكثر من ربع قرن وفرنسا مستولية على تونس ومراكش والجزائر ، وظلت هذه الدول رابضة تحت أغلال الاستعمار الفرنسي ، وهي تستغيث وتتظلم ، ولا مغيث ولا مجيب ، إلى أن قيض الله لها أميراً باسلاً حازماً وهو (الأمير عبد الكريم) وشقيقه (محمد) الذي التجأ إلى مصر هو وشقيقه في الصيف الماضي ، وهو مقيم الآن بقصر عظيم بشارع سعد زغلول ، يجتمع عنده من وقت إلى آخر زعماء الجهاد المغربي وغيرهم .

وقد نظم زعماء الجهاد المغربي في القاهرة جهودهم هذه الأيام ، فأسسوا لجنة (تحرير المغرب العربي) مؤلفة من ممثليها مختلف الأحزاب في تونس ومراكش والجزائر ، تكتفهم زعامة الأمير عبد الكريم الذي اختاروه رئيساً دائماً لهيئتهم ، كما اختاروا شقيقه وكيلاً دائماً لها كذلك .

وقد استند رئيس تلك اللجنة إلى ميثاق تجلت خلاله مبادئ الكفاح المغربي في سبيل « الاستقلال التام ، والتعاون مع بلاد العروبة في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار ، كما تجلت « عملية » الوسائل التي يلجأ إليها لتحقيق تلك المبادئ ، فلم تقف عند حد « السلبية » بل تجاوزته إلى « الإيجابية » حين سمحت « للأحزاب الأعضاء في لجنة التحرير أن تدخل في محادثات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والأسبانية ، وحين اشترطت على هذه الأحزاب أن تطلع اللجنة على سير مراحل المحادثات أولاً بأول » .

وفي هذا التوفيق بين مثل المبادئ وطرائق العمل المنتج ، ما يسجل الإمام بطبيعة تشعب المواقف ، ودقة المعالجة فيما يتصل بالشئون العامة ، والعلاقات الدولية ، وما يدعو إلى الاطمئنان ، وترقب الوصول إلى تحقيق الآمال ، وهو ما نرجوه لإخواننا المغاربة المحلصين .

(المصري في ١١ ، ١ ، ١٩٤٨)

٤ - ظلم هولندا لاندونيسيا

حدث في أفق العالم الإسلامي محنة قاسية ، وهي تلك الحرب الشعواء التي شنتها (دولة هولندا) على إخواننا المسلمين (باندونيسيا) ، وكان تلك الدواة المعتدية قد أبت إلا أن يكون في اعتدائها إيذاء لشعورنا قاطبة ، فجاءت مهاجتها للاندونيسيين في شهر له حرمة وتقديس هو شهر رمضان (١٣٦٦) المعظم .

فقد كان الأمل قوياً عقب اتفاقية (لينجادجاتي) في أن يستتب السلام في تلك البلاد وأن ينعم هذا الشعب الباسل بحياة مستقرة ، ينصرف في ظلها إلى رفع مستوى حياته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ويتخلص من أغلال الاستعمار التي طالما رسف فيها ، ويتبوأ بين الأمم المحبة للسلام مكاناً يليق به ، وتوهله له مساحة بلادها الواسعة ، التي تربو على مساحة هولندا ستة وخمسين مرة ، وعدد سكانها الذي يقدر بحمسة وسبعين مليون نسمة ، أي ثمانية أمثال سكان هولندا .

ولكن ذلك الأمل القوي قد تلاشى عند ما غدرت هولندا بأندونيسيا ، ونقضت تلك الاتفاقية ، مما يؤكّد أن قبول الهولنديين لها إنما كان لضرورة اقتضاها ضعف مركزهم الحربي والسياسي .

على أن الشعب الأندونيسي لا يقف وحده في هذه المحنة القاسية ، فهو يحظى بعطف شعوب العالم كله ، ويتمتع برعاية الأمم الإسلامية خاصة .

وهاهي استراليا والهند تقدمان قضيته إلى مجلس الأمن ، وهذه هي الصحافة الحرة في كافة أنحاء العالم تناصره وتعضده ، وتنحى باللائمة على اعتداء هولندا ، وهؤلاء هم المسلمون يتميزون غيظاً من جراء هذا الاعتداء ، ويصبون جام غضبهم وسخطهم على مرتكبيه ، ولا غرو (فالمسلم للمسلم كالبنين يشد بعضه بعضاً) .

وما كانت مصر (وهي قلب العالم الإسلامي ، ومناطق رجائه) لتغفل عما يعانیه الشعب الأندونيسي الكريم ، فهبت على اختلاف هيئاتها وأحزابها ، تبدي عطفاً عليه ، وتظهر مشاركتها له في محنته .

ولقد توج ذلك كله لفته المليك العظيم ، وعطفه السامي ، فوجه (حفظه الله) أنظار ممثلي بريطانيا وهولندا والولايات المتحدة بمصر ، إلى الموقف في أندونيسيا ، معرباً عن رغبته الكريمة في أن تنتهي هذه الحالة سريعاً بالوساطة العادلة ، وبما يرضى نفس جلالته ونفوس المسلمين قاطبة .

وإنا نسأل الله الكريم ، أن يكشف عن إخواننا الأندونيسيين هذه القمة ، وأن نسوي مسألتهم عاجلاً ، بما يكفل الحرية لهذا الشعب الباسل ، ويحقق له ما يصبو إليه من أمن وسلام ورفق . (أحمد حمزة)

العدد الثاني من مجلة لواء الإسلام

أول شوال سنة ١٣٦٦ هـ - أغسطس سنة ١٩٤٧

جاء بمجريدة المصري الصادرة في ٢٦ يولييه سنة ١٩٤٩ أن هناك مساعي تبذل لوقف حرب أندونيسيا

٥ - ظلم أمريكا لعرب فلسطين

(العرب والصهيونيون)

فلسطين هي إقليم من أقاليم سوريا ، يحدها شمالاً (فينسيا) وجنوباً (البحر الميت) ، وغرباً (البحر الأبيض المتوسط) ، وشرقاً (صحراء سوريا) ، ويرويه نهر (الأردن) التابع لشرق الأردن (وهي تعتبر جزءاً من شرق الأردن) .

وهذا الإقليم يسمى أيضاً (أرض كنعان) وأسسها يعقوب بعد أن بنى سيدنا إبراهيم الخليل الكعبة ، وتعرف بالأرض المقدسة (أو بيت المقدس عند المسيحيين) ، وبها المسجد الأقصى الذي يحج إليه سنوياً عدد عظيم من المسلمين والمسيحيين ، وكانت قديماً ولاية عثمانية يحكمها وال مقره (بيت المقدس) ثم أصبحت مشمولة بالانتداب البريطاني ، تحت سلطة المندوب السامي البريطاني السير (هربرت صمويل) للآن ، وقد قررت الحكومة البريطانية الانسحاب منها في مايو سنة ١٩٤٨

هذه هي فلسطين التي قام الصهيونيون (وهم قوم من اليهود المتعصبين^(١)) المقيمين في بلدة (صهيون) وهي أحد تلال (أورشليم) ، وكثيراً ما يعبر عنها أورشليم نفسها ويقدمونها ، لناواة العرب وإرهابهم ، وغصب حقوقهم ، ونزع أراضيهم ، وموارد أرزاقهم ، وسلب أوطانهم لتأسيس (وطن قومي لهم) فيها ، وقد قام العرب من ناحيتهم عن بكرة أبيهم ، وقام معهم جميع رؤساء الدول العربية (الجامعة العربية) في سوريا ولبنان ودمشق وشرق الأردن والمملكة السعودية (الحجاز) والعراق واليمن وإيران ومصر أيضاً لنجدتهم ، وأخذوا يناضلون ويدافعون عن قضيتها أمام جمعية الأمم المتحدة التي اجتمعت في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٧ بالحجج التاريخية والبراهين القانونية بأنها (ملك

(١) الصهيونية أصلها فكرة ترمي إلى إنشاء دولة عنصرية يهودية ، والعنصرية تدل على التعصب لشعب ما ، أولفئة منه مع ما قد يقترن به هذا التعصب في معظم الأحوال من نكرة وصلف وادعاء التفوق على من لا ينسب إلى ذلك الشعب أو إلى تلك الفئة — هذه العنصرية أصبحت سبباً مباشراً لأشد ما ابتليت به الإنسانية من ظلم ، ولأشد ما عانت منه من قن وحروب دامية نشبت للتخلص من ربقته .

(كتاب الصهيونية لمؤلفه م . كنفوري)

للعرب) وأن اليهود لا يشغلون إلا جزءاً قليلاً منها ، وهم أقلية بالنسبة للعرب ؛ ولكن مع الأسف الشديد لم تنل فلسطين إلا أصواتاً قليلة ، واجتمع للصهيونيين ٣٣ دولة مسيحية بطريق الضغط الأمريكاني ، والإغراء والرشوة ، وقررت هيئة الأمم هذا القرار الظالم وهو « تقسيم فلسطين » إلى قسمين : قسم لليهود ، وقسم للفلسطينيين ، ولم توافق عليه عموم الدول العربية وغيرها .

فعاد رؤساء الحكومات العربية ، وكلهم غاضبون ساخطون على هيئة الأمم ، مستنكرون لقرارها الفظيع ، وقامت مصر محتجةً ومستنكرةً لهذا القرار ، وقامت مظاهرات كثيرة ، أهمها المظاهرة القومية العظيمة ، التي قامت من الجامع الأزهر في يوم الأحد ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ، ومرت بفندق (الكونتنتال) النازل فيه رؤساء الأمم العربية ، وهناك أقيمت خطب من أعلى الفندق للأمرير فيصل وغيره .

وأُشيد فيها النشيد الفلسطيني الذي نقتبس منه :

فلسطين هي ولا تجمدى وبالسيف والنار هيا احصدي
أنتك الجحافل في الموعد تصب الهلاك على المعتدى
إذا لم تثب للرشاد العدا جعلنا المنايا لهم موردا
دوى المدافع أحلى نشيد * * * صوت البنادق لحن فريد
فهبنا اسحق العدو العنيد د فني مصرع البغي للحق عيد

وفي يوم الثلاثاء ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٧ عقدوا اجتماعاً بوزارة الخارجية استغرق أربع ساعات متوالية ، من الساعة ٦ إلى الساعة ١٠ ، وعلى أثر انتهاء الاجتماع قابل سعادة (عبد الرحمن عزام باشا) الأمين العام لجامعة الدول العربية الصحفيين ، وأعلنهم باتهاء الاجتماع ، وأذاع عليهم البيان الآتي ، الذي أصدره المجتمعون ، ونشر في عموم الجرائد في يوم الأربعاء ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧ :

بيان رؤساء الوفود

منذ تطلقت أغراض الاستعمار ، وأطاع الصهيونية ، على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وعرب هذه البلاد في محنة تفرض القوة عليهم جماعات أجنبية عنهم تأتيهم

من الغرب ومن الشرق بلغاتها وعاداتها ، ومذاهبها الاجتماعية ، ولا تلبث هذه الجماعات أن تنتزع من العرب بشق الوسائل أراضيهم وموارد رزقهم ، وهي اليوم تسلبهم أوطانهم ، وقد مدت الدولة المنتدبة (إنجلترا) هؤلاء الدخلاء بالمعونة ، فسكنتهم من إنشاء جيش مدرب ومسلح ، انقلب في السنين الأخيرة إلى أداة إرهاب ، وأداة شر على البلاد جميعاً ، بما عاثوا فيها من فساد ، وقد بصرت حكومات الدول العربية الدولة المنتدبة وغيرها من الدول في مناسبات كثيرة بطرائق شتى ، وفي مؤتمرات متعددة بسوء المنقلب في فلسطين ، وكاشفتها بالعاقبة الوخيمة لعملها وعمل الصهيونيين ، وما يؤدي إليه من حروب وقتل بين المسلمين والمسيحيين من ناحية ، واليهود من ناحية أخرى تعم الشرق بأسره ، وقد تمتد أحقاباً طويلة .

ولما تفاقمت الحالة في فلسطين ، وعجزت الدولة المنتدبة عن حفظ الأمن والنظام ، عرضت أمر الانتداب على هيئة الأمم المتحدة ، فأدت وفود الدول العربية في دورتي الجمعية العامة واجبها كاملاً ، وأظهرت حق العرب وبنى الصهيونية ، وأذرت بالعواقب الوخيمة إذا ما تجاهلت الجمعية مبادئ الحق والديموقراطية ؛ ولسكن لشديد الأسف تنكرت الجمعية لذات المبادئ الذي تضمنها ميثاقها ، فأوصت (بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها) وهي بذلك قد أهدرت حق كل شعب في اختيار مصيره وتقريره ، وأخلت بمبادئ الحق والعدالة جميعاً ، وهي بعد قد رسمت للتقسيم حدوداً تجعله غير قابل للتنفيذ عملاً ، وتجعله أبداً مصدر الاضطراب والفتنة ، فأدخلت فيما أسمته (بالدولة اليهودية) أجود أراضي العرب وأوسعها رقعةً ، وأكبر موارد الثروة الاقتصادية في البلاد وأخطرها شأنًا ، ووضعت نصف مليون من العرب مسيحيين ومسلمين تحت نير الصهيونيين وسيف إرهابهم ، وهم أنفسهم لا يتجاوزون عدد العرب الذين يراد وضعهم تحت سلطان الصهيونية الدخيلة ، وذلك بعد أن نزعَت الدولة المنتدبة من العرب سلاحهم ، ومكنت الصهيونيين من رقابهم .

ولقد استفز هذا الوضع الظالم الشرق بأسره ، بل أكثرية سكان العالم أجمع ، فهبت الشعوب العربية والإسلامية جميعاً مندفة لإزهاق الباطل وإحقاق الحق ، وإنقاذ عرب فلسطين المستضعفين في أرضهم وديار آبائهم وأجدادهم .

وحكومات دول الجامعة العربية تقف صفاً واحداً في جانب شعوبها في نضالها لدفع الظلم عن إخوانهم العرب ، وتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم ، ولتحقيق استقلال فلسطين ووحدتها .

وقد قرر رؤساء وممثلو هذه الحكومات في اجتماعهم بالقاهرة (أن التقسيم باطل من أساسه ، وقرروا كذلك عملاً بإرادة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير الحاسمة ما هو كفيلاً بعون الله بإحباط مشروع التقسيم الظالم ، ونصرة حق العرب ، ومجابهة كل احتمال من الاحتمالات) .

وسيرى العالم استحالة أخذ العرب بالعنف ، وإخضاعهم للقوة أيّاً كان مصدرها ، وسيرى العالم أن العرب حين دعوا إلى التمسك بقواعد الحق والعدل ، وحين أُنذروا بعواقب المغامرة الصهيونية إنما كانوا طلاب حق وعدل بين الناس جميعاً ، راغبين في استبعاد أسباب الفتن والاضطراب من الشرق الأوسط ، حريصين على إقرار السلام في ربوعه . وسيرى العالم كذلك أن الذين عملوا على تقسيم فلسطين دون تدبير العواقب يتحملون وخدامم مسئولية الفتن والاضطرابات التي أثاروها والتي لا يعلم مداها .

أما وقد تغلبت الشهوات والأغراض حتى في ساحة الأمم المتحدة ، وأغلقت أبواب الحق والعدل في وجوه العرب ، فإنهم قد وطدوا العزم على خوض المعركة التي حملوا عليها وعلى السير بها حتى نهايتها الظافرة بإذن الله ، قستقر مبادئ الأمم المتحدة في نصابها السليم وتسود في الأرض المقدسة مبادئ العدالة والمساواة بين الناس أجمعين .

وعلى أثر إذاعة هذا البيان انهالت التبرعات والتطوعات من عموم العالم الإسلامي ، حتى من يهود مصر وأمريكا لإنقاذ فلسطين من محنتها ؛ وقامت معارك دموية بين عصابات العرب واليهود ، وسيتمها حرب طاحنة بين الجيوش النظامية .

وقد أنشد الدكتور إبراهيم ناجي بمناسبة هذه الثورة الصادقة نشيداً نشر بمجلة الاثنين

السيف يحسمها

إن أنت لم تنصف فإله منتصف دار النبيين دار ليس تنتصف (١)
دار النبيين أقداس موحدة سلوا بها الدهر فالتاريخ يعترف
سلوا السيوف التي سات لتنقذها ومن دماء العدا والظلم تعترف
إذا اليهود أرادوا بيننا وطناً فتلك أخحوكة فوق الذي تصف
أخحوكة غير أن السيف يحسمها إن الدماء على حوض الفدا شرف

فنسألك اللهم أن تمد العرب بمعونتك ، وأن تنصرهم على أعدائهم الصهيونيين وغيرهم نصرأ مبيناً ، وتمكنهم من رقابهم تمكيناً ، تحقيقاً لقولك : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذَلِّقُ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

هذا وقد تطورت الحالة في فلسطين بعد أن أعلنت هيئة الأمم المتحدة واعترفت (بدولة إسرائيل) ، ولا يزال الخلاف والقتال مستعراً بين العرب واليهود خصوصاً بشأن بيت المقدس بقصد الاستيلاء عليها . نسأل الله تعالى أن يوفق العرب للحصول على أراضيهم المفصولة ، ورجوع اللاجئين إلى ديارهم ، وأن ينصرهم على أعدائهم ، فعم المولى ونعم النصير

بمناسبة قضية فلسطين طلبت الحكومة من وعاظ المساجد أن يلقوا خطباً حماسية في الحث على الجهاد في صلاة الجمعة ، وهذه الخطبة القيمة ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ حمزة حسن الصالحى بمسجد فؤاد الأول في يوم الجمعة ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ، الموافق ٥ صفر سنة ١٣٦٧ ، وكان لها تأثير عظيم في نفوس المستمعين . وهذا نصها :

(١) أى لا تقسم .

الخاتمة

خطبة من حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

في الجهاد

الحمد لله شديد البطش بالظالمين ، القائل في كتابه : (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) . وأشهد أن لا إله إلا الله الذي أمر عباده المؤمنين بالدفاع عن وطنهم ودينهم فقال : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ . فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذي أرسل لأهل الأرض والسموات ، بشيراً ونذيراً ، صابراً على الشدائد والحزن ، كما قال له ربه :

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في سبيل الله ، ونصروا دينه ، فنصرهم الله كما قال : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) .

أما بعد ، عباد الله : من تعاليم الإسلام وإرشاداته ، أن لا نعتدى إلا على من يعتدى علينا ، ولا نقاتل إلا من قاتلنا ، كما قال سبحانه : (مَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ) ، فإن رجع هؤلاء إلى رشدهم ، وأفاقوا من غيهم ، واستيقظوا من جهالتهم ، ومدوا إلينا يد التصالح والتسامح ، رجعنا إليهم بالمعفو عما ارتكبه من الغدر والعدوان ، فقد قال سبحانه : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ، وإن استمروا في الضلال والظلم ، أصليناهم ناراً ، ليحق الله الحق ، ويبطل الباطل ، والنفوس بطبيعتها تميل إلى الراحة ، وتخلد إلى السكون ، ولا تحب الجهاد في سبيل الله ، وتكره القتال الذي فيه العزة للإسلام والمسلمين ، وإعلاء كلمة الله وكلمة الدين .

قال تعالى : (كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرَهُ لَكُمْ . وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ . وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) .

وقد حرص الله المؤمنين على الإقدام في قتال الأعداء مع الثبات في مواضع القتال

فقال سبحانه : (فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ . وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُتَمَلَّ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) .

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ ، وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

وإن التاريخ دائماً يذكرنا بما حدث ، وبين أن الطيش عاقبته سيئة ، خصوصاً إذا كان من رؤوس الرؤساء ، فإنه يجلب الشر ، ويهدم قصوراً شاهجة ، وبيوتاً عالية ، وهذا ما حصل لبعض اليهود الذين كانوا يجاورون المدينة المنورة ، فقد كان بينهم وبين المسلمين عهد ، بها يأمن كل واحد منهم الآخر ، ولكن اليهود لم يوفوا بهذه العهد ، ونقضوا خيانة منهم وحسداً ، ونبذوا ما عاهدوا المسلمين عليه ، وأظهروا مكنون ضمائرهم ، فبدت البغضاء من أفواههم ، فأخبر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بأن العهد الذي كان بينه وبين اليهود قد انقضت عراه ، وانفطر حبله بسبب ما انطوت عليه نفوسهم ، من العداوة والبغضاء للمسلمين ، ونزل في ذلك قول الله تعالى : (وَإِمَّا نَحْأَفَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء اليهود وحذرهم عاقبة البغي ونكت اليهود ، فافتخروا بقوتهم وشجاعتهم ومقدرتهم على الغلبة في الحروب ، فبين الله لنبيه أن الهزيمة نازلة باليهود ، فقال جل شأنه :

(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ التَّتَمَّتَا فِئْتَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ) .

وعندئذ تبرأ المسلمون من مخالفتهم مع اليهود ، ونزل قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) .

وقد اغتر اليهود بما وعدمه به المنافقون من مساعدتهم والدفاع عنهم ، وتحصنوا
بمحصونهم بعد أن تبين لهم كذب المنافقين ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما
رأوا عجزهم عن مقاومة المسلمين أدركهم الرعب ، وطلبوا من النبي أن يخلى سبيلهم على أن
يخرجوا من المدينة ولهم النساء والأولاد ، وللمسلمين الأموال ، فقبل ذلك عليه الصلاة
والسلام ، ولم يحل عليهم الحول بعد خروجهم حتى هلكوا جميعاً (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) .

(الحديث) : روى مسلم عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله
عليه وسلم : « بعثه ومعاذًا إلى اليمن فقال : يَسْرًا وَلَا تَعَسَّرًا ، وَبَشْرًا وَلَا تَنْفَرًا ،
وَتَطَاوَعًا وَلَا تَخْتَلَفَا » .

ونختتم هذا الكتاب بهذا الدعاء الذي ألقاه فضيلته على المسلمين عقب الخطبة :
« اللهم اشغل الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم - آمين ، واجعل كيدهم في نحورهم
ونجنا من شرورهم يارب العالمين » آمين .
والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين في المبدأ والختام .

انتهت والله الحمد من مراجعته في يوم الإثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٧ ، الموافق ٢٤ مايو سنة ١٩٤٨
على فكرى

محمد الله وحسن توفيقه قد تم طبع كتاب

[البيان الفاصل بين الحق والباطل]

مصححا بمعرفة لجنة من العلماء برياسة : أحمد سعد على

القاهرة في { ١٣ شوال سنة ١٣٦٨ هـ
٨ أغسطس سنة ١٩٤٩ م

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة

محمد أمين عمران